موهنداس ك. غاندي

كتابات وأقوال
للمهاتما م. ك. غاندي

ترجمة: أكرم أنطاكي
تدقيق: هَڤال يوسف

المرجع: The Mind of Mahatma Ghandi
ترجمة: أكرم أنطاكي
تدقيق: هڤال يوسف
إخراج: هڤال يوسف
تصميم الغلاف: دارين أحمد

الطبعة الأولى، 2009

معابر للنشر والتوزيع
سوريا، دمشق
ص ب: 5866
هاتف: 00963-11-3312257
بريد إلكتروني: maaber@scs-net.org

كتابات وأقوال
للماهاتما م. ك. غاندي

تصدير

أ. ندرة اليازجي

يُعدُّ التحقيق العملي لحلّ مشكلة العنف، في عالم بلغ مستوياته القصوى من الصراع والعدوانية، مسألةً صعبة غاية الصعوبة. هذا لأنّ اللاعنف أصبح بعيد الاحتمال والتطبيق، إذ بلغ أقصاه. وتشير الدلائل الواقعية إلى أنّ العنف قد بلغ إلى الحدّ الأقصى نتيجة للأحداث المأساوية، الممثّلة بمركزية الأنا الفردية ومركزية الأنا التجمعية، التي تحرّضه على نحو انفعال شديد. وهكذا، تنبثق العدوانية إلى الوجود. وفي عالم العنف تتراجع أخلاقية اللاعنف والمحبة ومثالية معرفة الحقيقة. ومع ذلك، يكون اللاعنف أكثر فعّاليةً في وضع اجتماعي أو فردي لا يكون الشرّ، وهو الخير المسلوب، قد طغى تماماً. لذا، كان تطبيق اللاعنف في الحالات الفردية أسهل من تطبيقه في الأوضاع الاجتماعية والدولية.

يتطلّب تطبيق اللاعنف وتحقيقه عاملين:

أولاً- يتطلّب هذا التحقيق أو التطبيق وجود أناس يحملون بذوره، ويتزودون بمبادئه التي تتجاوز الآراء والنظريات السلبية، وظاهرة الاتحادات الإقليمية، والإحساس الزائف بالقوة المادية الغاشمة، والاعتماد على التقدم التكنولوجي العدواني، والإيديولوجيا المتطرفة، والشعور القومي المتطرف، وأنواع التسلّط والتربية الانفعالية المتصلبة، الخ. وبالإضافة إلى ذلك، يحملون هذه البذور إلى العالم من أجل زراعتها في المجتمعات العديدة، ويُعملّون هذه المبادئ بمحبة وتحمّل لجميع الناس. ولمّا كنت أؤمن بتعاون أهل الوعي والحكمة والخير مع بعضهم، وهم أناس

لاعنفيون يزرعون حقل الإنسانية ببذور المحبة والوعي والسلام، فإنني أؤمن أيضـاً بـأنّ الاتحـادهم أو تعـاونهم يشير غلى تجاوز السلب الذي يستحفل أرمه يومــاً بعد يــوم. وفي هــذا المنظــور، تشــتدّ حاجة العــالم إلى أصحاب الرؤى والبصيرة الحكيمة والسلمية، وإلى ذوي المعرفة والــوعي. وتــزداد هــذه الحاجة إلى وجــود العاملين في حقل السلام والعدالة.

ثانيــاً – يتطلّب اللاعنف تربية إنســانية جديــدة قابلة للتطبيق، تقوم على مبادئ التحمّل والعطاء والتضـحية، وتقلّص التعصب المذهبي والطائفي والعرقي والطبقي إلى أدنــــاه، وتلطّف أو تقلّل من خطــــورة الفــــوارق القائمة بين الأفراد والشعوب. والحقّ إنّ تربية من هذا النوع تؤمن بأخوة إنسانية، وتدعو إلى تضامن الإنســان مع الإنســـان، وإلى احـــترام آراء الآخـــرين وتقـــدير الشخصية الإنسانية.

يتضــمّن اللاعنف في قــانون الــروح وغائية التطــور الإنســاني. ويتضــمن العنف في مركزية الأنا الــتي تعي ذاتهــا. ولقد أخطأ بعض علمــاء التطــور الــذاتي الــذين أبانوا أن التطور صــراع يهـدف إلى بقـاء الأقـوى لكونه "الأفضـل؟!". والحق هو أن التطـور في الإنســان وفي الطبيعة يتأسس على قاعدة تكامل الأقطــاب المتقابلة والتعارضات الظاهريـة. وليس التكامل سـوى وجه آخر للمحبة واللاعنف والخـــير والـــوعي. هـــذا لأن عـــالم الإنسانية غاية بذاته. وإذا كان غاية بذاتــه، فـإن تطـوره يبدأ من ذاته لينتهي إلى ذاته، لتحقيق ذاته. وهذا يعــني أن التطور، بعد وجود الإنسان، يتجه إلى عقلانية أعلى، ووعي أعظم وروحانية أسمى. لذا كان التطــور تكــاملاً وليس صــراعاً أو عنفـاً؛ وبالمثل كـان تجـاوزاًأو تعاليـاً وارتقاءً مستمراً في حقول المعرفة والوعي والروح.

يتحقق اللاعنف في التضـــحية، الـــتي هي المحبة المطبّقة على صـــعيد الواقـــع؛ هو المحبة الـــتي تبلغ ذروتها. لذا، كان اللاعنف خدمةً وتواضـعاً وبسـاطةً. هو قانون أو مبدأ الإنسان الذي يـرى صـورته منعكسة في الآخـر، فيحبّه كما يحبّ نفسـه. وهكـذا، يكـون اللاعنف قـانونَ أو مبـدأ البقـاء والتكامل في الحيـاة. وفي هـذا المنظور، نسأل: كيف يحب الإنسـان نفسه في الآخـر؟ وكيف يتكبّر على نفسه في الآخـــر؟ وكيف ينبذ نفسه في الآخـــر؟ وكيف يعـــذّب نفسه في الآخـــر؟ وكيف يســـتغلّ نفسه ي الآخـــر؟ وكيف يســـتعبد نفسه في الآخر؟ وكيف يقتل نفسه في الآخر؟ وكيف يُـذلُّ نفسه في الآخـــر؟ وكيف يُنكر نفسه في الآخـــر؟ إذن، لمـــاذا يلغيالصلة الـتي توحّـده مع الآخـر؟ كيف يحب الإنسـان نفسه في الآخر؟

بات الإنسان، في هذه المرحلة الصـعبة من تاريخـه، يشعر وكأنّ العنف قد بلغ ذروتـه. لـذا، يحمل الإنسـان، الـذي يعتمد العنف خلاصـاً لـه، بـذور شـقائه وفنائـه. وبالتـالي، يشـير وضـعه الـراهن إلى أمـرين: أولاً – الاستمرار في نطاق العنف. ثانياً – اللجـوء إلى الـوعي واللاعنف اللذين هما مؤشران لحقيقة واحدة.

في هذا النطـاق، أي الاسـتمرار في انفعـال العنـف، يتّجه الإنسـان إلى هاوية التعاسة والبـؤس والجحيم. وفي النطـاق الثـاني، أي طريق الـوعي والحكمة واللاعنف، يتّجه الإنسان إلى السعادة والنعيم والرفـاه. ولمّا كـانت مسـيرة الطبيعة تشـير إلى تقلّص العنـف، فإن مسيرة الإنسان يجب أن تشير إلى تقلّص العنـف. لـذا، كـان لا بـدّ لهـذه المرحلة أن تهـدأ وتعتـدل بعـدما عـانت البشـرية من الحـروب وأنـواع البـؤس والفاقـة. أقول ما أقول وأنا أعلم أنّ اللاعنف، لكونه يمثّل جدلية

الحيـــاة المتكاملة من منطق صـــاعد، ســـيكون الغاية النهائية لعقل الإنســـان وســـلوكه. والحـــقّ أنّ اللاعنف أصـبح الرائد الأول للعلـوم الاجتماعية والانسـانية الـتي تشـير مبادئها إلى إفلاس النظريـات السـلبية، الفردية منها والتجمعية، الـتي لم تؤسس عقيـدتها على قاعـدة إنسـانية. وهكـذا، نـدرك أنّ اللاعنف هو الحقيقة الـتي أضـــاعها الإنســـان ونفاها من وجـــوده. لـــذا، تقضي الضـرورة بعودته إليها في وضـعه الاجتمـاعي المتمثّل بالسّـلم، والتـآلف، والاعـتراف بالتنوعـات العديـدة في الحقيقة الواحدة.

لا تكتمل فاعلية اللاعنف إلا بفعل إنسـاني. هـذا، لأنّ الإنسـان هو المشـرّع الـذي يبدعه ويوجّهـه. لقد ابتـدع الإنســان العنــف، ويجب عليــه، نتيجة لــذلك أن يحقق اللاعنف ليعـــود إلى وضـــعه الإنســـاني، الفطـــري والطـــبيعي. وبالفعـــل، يـــرى الإنســـان المعاصر نفسه مضطراً للبحث عن الخلاص وفق المبادئ التالية:

1- الانفتـــاح العقل الـــذي يشـــير إلى نتيجة العقل موقفـاً إيجابيـاً من المبـادئ الأخـرى. هـذا، لأنّ واجب الإنسـان يكمن في فهم المبـادئ الأخـرى، والاعـتراف بالآخر والقبول به.

2- الحـوار الإيجـابي الـذي يشـير إلى سـعي حثسث ودائم يهدف إلى بلوغ نقطة لقاء مع الآخرين عبر إرادة وعي يتجرّدان من الانفعال والتعصّب.

3- الموقف الإيجابي الذي يشير إلى احترام الإنسان الآخر مهما اختلف موقفه أو نظرته إلى الحيــاة، أو إلى مذهبه وعقيدته، أو عرقه أو لونه.

4- الموقف المتســـامح الـــذي يعتـــبر الأســـاس أو القاعـــدة الـــتي يتوطّد عليها صـــرح الاعـــتراف الكامل بـــالآخر والقبـــول الكامل بـــه. والحـــقّ إنّ الموقف

المتســـامح يتحقق على مســـتويين. أ- مســـتوى عقلي تتحقق فيه حكمة المنطق وصـدق المحاكمة السـليمة. ب- مسـتوى أخلاقي يخلو من الإدانة والإدانة المضـادة المتوافق مع سموّ كيان الإنسان المتعاطف مع الآخر.

5- الــواجب بوصــفه المبــدأ الكــوني الأول لعلاقة الإنسان مع الإنسان. وحول هذا الـواجب يقـول الحكيم غانــدي: "العمل هو الــواجب، والحق هو ثمرتــه. ومن جانبي، أقول: "الحقّ هو أنّ أقـوم بواجـبي"، وبالتـالي، أقــول: "حقي الوحيد هو أن أقــوم بواجــبي". لــذا، كما رأى غانـــــدي أن يُصـــــار إلى إحلال "وثيقة واجبـــــات الإنسان" محلّ "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان".

6- محبة الحقيقة: تحـدّث الحكيم غانـدي عن الصّـلة التأليفية بين اللاعنف والحقيقة. فـإذا ما وعى الإنسـان عظمة وجـوده، أي حقيقة وجـوده، أدرك أنّ تحقيقها لا يتمّ أو يكتمل إلا بـــاللاعنف. ومن جـــانبي، أقـــول: إنّ إدراكي لحقيقة وجودي يحثّني على تبنّي مبدأ اللاعنـف. لذا، كان اللاعنف موقفاً تتحقق فيه قـوة الإنسـان على غلبة الباطل، وكان العنف موقفاً يخضع لسـلطة الجهل والضعف الذي يتجسّد، في نهايته، العنف.

***

الفصل الأول

حول نفسي

لست قديساً ولا غارقاً في الخطيئة.

أبقى متفائلاً، ليس لأنّه بوسعي تقـديم أي دليل على أن الحقّ سيزدهر، إنما بسبب إيمـاني الـذي لا يـتزعزع بـأن الحـقّ سينتصر في نهاية المطـاف.... لأن أسـاس وحينا هو فقط الإيمان بأن الحق سينتصر حتماً.

(هاريجان، 9-8-1942، ص262)

***

لم أدّعي يومـاً بـأني زاهد[1]؛ فالزهد مـرده صـرامة الأشـياء. أنظر إلى نفسي كصـاحب بيت يعيش حيـاة خدمة متواضعة، كغـيري من العـاملين الـذين يعيشـون على صدقات الأصدقاء.... والحياة التي أعيشـها سـهلة ومريحة بمجملها، هذا إن فهمنا الراحة بأنها مجرد حالة ذهنيـة. ومن هـذا المنظـور، لـديّ كل ما أحتـاج إليه ولا أتعب نفسي باكتناز أي شيء خاص.

(الهند الفتاة، 1-10-1925، ص338)

***

أعرف أنْ ما زال أمـامي اجتيـاز درب طويـل، لـذلك يجب أن أجعل من نفسي صـفراً، لأنّ الإنسـان، ما لم يتغيّر بملء رضاه، ليصبح الأخير بين إخوته من البشـر، فلن يحقق الخلاص. من هـذا المنطلق تعتـبر الأهيمسا أقصى حالات التواضع.

(سيرة ذاتية أو قصة تجاربي مع الحقيقة، ص371)

***

كنت أعيش حينئذٍ في جنوب إفريقيا. حين قرأت هذا الكتـاب حـتى النهاية خلال رحلة بالقطـار إلى دوربـان،

[1] - التعبير الهندي المستعمل هو سانياسي التي أصلها سانياس أي الزهد.

عام 1934، كان عمري حينئذٍ 35 عاماً، وهذه القراءة هي التي جعلتني أقرر تغيير كل مظاهر حيــاتي. ليست لدي كلمات أخرى لأصف ذلك، سوى القول إنّ كلمـات روســكين أســرتني. قــرأت الكتــاب دفعة واحــدة ثم استلقيت ولكن يراودني النوم طوال الليل، عندئذ هناك قــررت تغيــير كل ما خططت لــه. أما تولســتوي فقد قرأته في مرحلة سابقة، وقد أثر على كياني الداخلي.

(India's case for Swaraj ، ص371)

***

تعـودت خلال حيـاتي على مواجهة التحريـف؛ فهـذه ضــريبة كل من يعمل في الحقل العــام، حيث ســيجد صـعوبة في إيجـاد ملاذٍ يختـبئ فيـه. والحيـاة سـتكون مرهقة إن كان علينا الردّ على كل تحريف، أو توضيحه. لهذا كانت هنـاك قاعـدة اتبعتها في حيـاتي تقضي أن لا إشــرح التحريفـات إلاّ حين يكـون هنـاك مـبرر يقتضي التصــويب. وهي قاعـــدة أنقــذت الكثــير من وقــتي، وجنبتني القلق.

(الهند الفتاة، 27-5-1927، ص193)

***

إذا أثبتتْ أي من الأفعال، الـتي نـدّعي أنها روحانيـة، بأنها ليست عملية ينبغي الإقرار بفشلها، لأني أعتقد أنّ أكثر الأفعال روحانية هي الأكثرها عملية في الحقيقة.

(هاريجان، 1-7-1937، ص181)

***

أعلن أني مجرد إنسـان بسـيط معـرّض للخطأ كسـواي من الفــانين. وأقــرّ، رغم هــذا، بــأن لــدي ما يكفي من التواضع لأعترف بأخطائي وأصححّ خطئي. أقرّ بـأن عنـدي إيمـان لا يـتزعزع بالله وطيبته وشـغفه اللامتنـاهي للحب والحقيقة، ولكن: ألا يحمل كل إنسان هذا في نفسه؟.

(الهند الفتاة، 6-5-1925، ص164)

***

أنا واع جداً لنـواقص الأجنـاس الـتي أنتمي إليها إلى حدٍّ لا يمكنني فيه الغضب من أي فرد. وحلي للمشكلة هو في التعامل مع الخطأ أينما أصــادفه، دون أن ألحق الأذى بفاعل الخطـــأ، تمامـــاً كما لا أرغب رؤية نفسي معاقباً على الأخطاء التي أرتكبها باستمرار.

(الهند الجديدة، 12-3-1930، ص89 و90)

***

لا ينبغي لاختلاف الآراء أن يكون سـبباً للعـداوة، لأنه لو كانت هذه هي الحال، لكان يجب أن نكون - زوجـتي وأنا - ألدَّ عدوين. لا أعرف شخصين في هـذا العـالم لا يختلفــان في الــرأي، وكأحد أتبــاع *الغيتا*، فقد حــاولت دائماً النظر إلى من يختلف معي بنفس الودّ الذي أكنّه لأعز وأقرب الأشخاص إلي.

(الهند الفتاة، 17-3-1927، ص82)

***

ويصفونني بالمهاتما (المعلم)

... وأنا لا أشعر أني كذلك، لأني أعرف أنّي من أكثر خلق الله تواضعاً.

(الهند الفتاة، 27-10-1931، ص342)

***

في معظم الحــالات، تتضــمن الأقــوال الموجهة إلي أهدافاً ليس بوسعي تحملهـا. واسـتعمالها ليس إيجابيـاً لمن يكتبها ولا لي شخصــــياً. إنها تتخزيــــني وبلا أية ضـرورة، لأن علي أن أعـترف بـأني لا أسـتحقها. ولأنها حين تكــون مســتحقة فهي لا معــنى لهــا. وليس من الممكن أن تدعم الصفات الـتي أحملهـا. لأنه بوسـعها، إن لم أكن يقظـاً، أن تـدير رأسي بسـهولة. لأن الخـير

الذي يفعله الإنسان هو غالباً أكثر من ذاك الذي لا يعبر عنه. كما أن التقليد هو أصدق أشكال التملق.
(الهند الفتاة، 21-5-1925، ص176)

***

لتكن هـذه الأسـطر تحـذيراً لمن يريد تكـريمي من خلال إقامة التماثيل وتعليق الصـور. إنـني أكـره هـذه المظـاهر من كـلِّ قلـبي، وسيشـرّفني إن قـام أولئك الذين يؤمنون بي، بكل طيبة خاطر، بدعم الأفعال التي أقوم بها.
(هاريجان، 11-12-1939، ص1)

***

أقــول إنّي إنســان متوسط ذو إمكانــات أقل من الوســط. كما أنــني لا أنسب لنفسي أي فضل في ما وصـلتُ إليه بعد جهـدٍ جهيد في مجـال اللاعنف وضـبط النفس. لأنني لا يتملكني أدنى شـك، أن بوسع أي رجل أو امرأة تحقيق ذلك إن بذل نفس الجهد، وحمل نفس الأمل ونفس الإيمان.
(هاريجان، 3-10-1936، ص269)

***

ســأبقى منتقــداً للخطأ في كل مــرة يخطىء فيها النـاس. والطاغية الوحيد الـذي بوسـعي القبـول به هو ذلك "الصـوت الـذي ما زال خافتـاً في داخلي". وحـتى إن كان علي مواجهة احتمال أن أشكّل أقلية أكون فيها الشخص الوحيد، فـإني أعـترف بكل تواضع بـأنّي أملك ما يكفي من الشجاعة للانتماء إلى هذه الأقلية الـتي لا أمل لها.
(الهند الفتاة، 2-3-1922، ص135)

***

[...] تحاول أن تحميـني، لأن ذاك الـذي في الأعـالي يحمينا جميعــاً، وبوســعكم أن تكونــوا متأكــدين من أنّ

الساعة، حين تأتي، لن يكون حتى بوسع أشـهر النـاس في هذا العالم الحيلولة بيني وبينها.
(الهند الفتاة، 2 – 4- 1931، ص ص64 و65)
***
ليس بوسعي القول إني لا أغضـب، لكنـني لا أعطي متنفساً للغضب، بل أحاول تنمية مـيزة الصـبر لتخفيف الغضـب، وبشـكل عـام، أنجح في ذلـك. لكـني أتحكم بغضـــبي حين يـــأتي فحســـب. "كيف وجـــدت أنّ في الإمكان التحكم بالغضب؟"ـ – هـذا سـؤال لا معـنى لـه، لأنها مجرد عادة يتوجب على كـلّ منا تنميتها في ذاتـه، وأن ينجح في التخلّق بها من خلال المِران الدائم.
(هاريجان، 11-5-1935، ص98)
***
لأني أعرف الطريق...
أنا أعرف الطريـق؛ فهو مسـتقيم وقـريب، ويشـبه حـدّ السـيف. أنا أبكي حين أنـام من جـرّاء كلام الله : "أن من يسعى لا يفنى أبداً"، ولديّ إيمان عميق بهذا الوعد. ورغم أني بالنتيجة - لضـعفي- فشـلت آلاف المـرات، إلاّ أني لم أفقد الإيمان، بل لدي أمل بـأني سـأرى النـور حين أتمكن من إخضاع الجسد كليّاً، الأمر الـذي لا بـدّ أن يتحقق يومـاً ما.
(الهند الفتية، 17-6-1926، الصفحة 215)
***
لستُ سوى باحثٍ عن الحقيقـة. وأدّعي أنّي وجـدت طريقاً إليها. وأدعي أني ثـابرتُ كي أجـدها، لكـني أقـرّ بأني لم أجـدها حـتى الآن. إذ لكي نجد الحقيقة بشـكل كامل يجب أن نحقِّق ذواتنا ونحقق مصـيرنا بمعـنى أن نصبح كاملين. وأنا واعٍ - بـألم - لنواقصـي، لكن قـوتي

كلّها تكمن في هـــذا الـــوعي لأنه من النـــادر أن يعي الإنسان محدويته.
(المرجع نفسه، الصفحة نفسها)

***

أيّـاً كـانت الأشـياء الـتي قمت بها في هـذه الحيـاة، فــإني لم أقم بها بــدافع من العقــل، وإنما بــدافع من الفطرة، إن لم أقل بدافع من الله.
(هاريجان، 11-12-1924، ص406)

***

ما من سُبُلٍ خفيّة لدي. ولا أعرف ديبلوماسيةً أسـلم من الحقيقة، ولا سلاحاً سوى سلاح اللاعنف. وقد أضل الطريق عن غير وعي لفترة، لكن ليس طوال الوقت.
(الهند الفتاة، 11-12-1924، ص406)

***

أرفض الادّعـاء بـأني صـاحب رؤيـا، ولا أقبل الادّعـاء بالقداسة. أنا من الأرض، أرضي... ومعرّض للكثـير من الضعف مثلكم جميعاً، لكـني رأيت العـالم، وعشت فيه بعيـــنين مفتوحـــتين، ومـــررت بأقسى المحن الـــتي أسقطت الكثير من الرجال. واختبرت النظام.
(خطب وكتابات، الصفحة 531)

أطلب من أبنــاء بلــدي – الهند - بــألاّ يتبعــوا إنجيلاً سوى ذاك الذي يدعو إلى التضـحية بالـذات، تلك الـتي تسـبق كل معركـة. وسـواء كنتم تنتمـون إلى مدرسة العنف أم مدرسة اللاعنــف، ما زال عليكم عبــور نــار التضحية وتجاوز النظام.
(المرجع نفسه، ص532)

***

صحيح أنه تم التخلي عنّي مرات عديـدة، وأنّ الكثـيرين خيبوا أملي، وأنّ الكثيرين ينتظرون فعل ذلك، لكني لست نادماً على تعاملي معهم، لأني أعـرف كيفية التعامـل، كما

أعرف كيفية عدم التعامل. إن أكثر الطرق عملية، وأجدى الطرق للمضي قدماً في عالمنا هذا، هو أن نعامل النـاس حسـبما يـدّعون، طالما لا سـبب يـدعونا للتصـرّف عكس ذلك.

(الهند الفتاة، 26-12-1924، ص430)

***

أمّا فيما يتعلق بقيادتي - إن كنت أتمتّع بها - فإنها لم تأتي من أي طلب، بل كانت نتاج الخدمة المخلِصــة. إذ ليس بوسع المرء التهـرّب من قيـادة كهـذه مثلما ليس بوسعه التهرب من لون جلده. وبما أني أصبحت جــزءاً لا يتجــزأ من هــذه الأمــة، فإنها ســتحتفظ بي مع كل أخطائي وعيوبي التي أعي بعضها تماماً، كما لم يقصِّــر في تنــــبيهي إلى بعضــــها الآخر العديد من النقّـــــاد المخلصين.

(الهند الفتية، 13-2-1930، ص52)

***

حول رسالتي

هناك أكثر من مثال في حياتي العامــة، وكـذلك إمكانية للرّد، لكني تجنبت القيـام بـذلك، ونصـحت أصـدقائي بـأن يقومـوا بالمثـل، لأني كرّسـتُ حيـاتي لنشر تلك العقيـدة الــتي قرأتها في تعــاليم أكــبر معلمي العــالم كزاردشت وماهافير ودانيال ويسوع ومحمد وناناك وكثيرين غيرهم.

(الهند الفتاة، 9-2-1922، ص85)

***

حين ســأغدو عــاجزاً عن فعل الشــر، وحين تكــفّ أفكــاري، وعــالمي، عن الانشـغال - ولو مؤقتــاً - بــأي عملٍ قاس أو سيء، عندئذٍ، وليس قبل ذلــك، سـينتقل لاعنفي إلى قلوب العالم أجمع. ولستُ أضع بيـني وبين القــارىء أية اســتحالة لتحقق أي مبــدأ أو لتجــاوز أية

محنــة: إنها طبيعة الإنســان واســتحقاقه منذ الــولادة فحسب.

(المرجع نفسه، الصفحة نفسها)

***

لم أتوهّم يوماً بأن رسالتي ستكون كرسـالة فـارس جوال يبحث في كل مكان عن كيفية تخليص الناس من عُسـرهم. فشـاغلي المتواضع هو أن أبيّن للنـاس كيف يحلّون مشكلاتهم.

(هاريجان، 26-6-1942، ص201)

***

لا يوجد شيئاً اسمه *الغاندية*، ولا أرغب في أن أتـرك من بعـدي أية طائفــة، كما أني لا أدّعي خلق أي مبـدأ جديـد، أو أية عقيـدة. لقد جـربت، وحسـب، طريقـتي الخاصة لتطـبيق الحقـائق الأزلية في حياتنا ومشـكلاتنا اليومية.

(الهند الفتاة، 2-12-1926، ص419)

***

فلتتحطم *الغاندية* إن أخطـــــــأت. لا يمكن تحطيم الحقيقة والأهيمسـا، فـإذا أصـبحت الغاندية اسـماً آخـرَ للطائفية، فإنها تستحق أن تغدو جديرةً بالتدمير. لأنــني إذا أتيح لي - بعد مماتي - أن أعرف أنّ ما ناضـلت من أجله قد سقط في الطائفية فإني سأغتمُّ كثيراً...

(هاريجان، 15-7-1939، ص197)

***

اللاعنف يعني، من منطلق مشـروطيته الديناميكيـة، التألم الواعي. إنه لا يعني الخضوع لإرادة فاعل الشـرّ، بل يعـــني وضع الـــروح الكلية للمـــرء مواجه إرادة الطاغيـــة. لأننا حين نعمل من منطلق هـــذا القـــانون فســـيغدو المـــرء قـــادراً على تحـــدّي جـــبروت كل إمبرطورية غير عادلـة، وأن ينقذ شـرفه ودينه وروحـه،

وأن يؤسس لسقوط هذه الإمبرطوريـة، أو ولاددتها من جديد.
(المصدر نفسه، الصفحة نفسها)
***
أريد للهند أن تعي بـأنّ لها روحـاً غـير قابلة للفنـاء، وأن بوسعها الازدهار متجاوزةً كل ضعف مادي، فتتحدى التعامل المادي للعالم بأسره.
(الهند الفتاة، 11-8-1920، ص ص3 و4)
[...] ليس هـذا فحسـب، بل إنّ عقيـدتي ووطنيـتي نابعتـان من واقع أن ديـني يشـمل الحيـاة كلهـا. لـذلك تـــراني لا أريد تحقيق الأخـــوة أو التماثـــل، وبشـــكل أساسي، بين تلك الكائنات المدعوة البشـرية فحسـب، وإنما أريد تحقيق التماثل مع الحيـــاة ككـــل، حـــتى مع الزواحف الأرضية... لأننا جميعاً ندّعي بأن الخـالق ذاته خلقنـــا، ولأننا على هــذا النحــو، فيجب أن تكــون كافة أشكال الحياة، مهما تنوعت، متميزة.
(الهند الفتاة، 4-4-1929، ص107)
***
تطلعي محدود، فالله لم يعطني المقدرة على قيادة العـالم في طريق اللاعنـف. لكـني تخيلت أنه اختـارني أداةً له من أجل تقـــديم اللاعنف للهند كطريق تعـــالج بوسـاطتها مع أمراضـها الكثـيرة. وما حققنـاه في هـذا المجــال من تقــدم شــيء كبــير، لكن لا يــزال أمامنا تحقيق الكثير.
(هاريجان، 23-7-1938، ص193)
***
إني خائف، بشكل أو بآخر، من زيارة أوروبا وأمريكا. وهذا ليس لأني لم أعد أثق بشعوب هـذه القـارات كما لم أعد أثق بشــــعبي، لكن الســــبب هو أني لا أثق بنفســي. فأنا لا أريد الــذهاب إلى الغــرب بحثــاً عن

الصحة أو للتمتع بالمنـاظر. كما أني لا أرغب في إلقـاء الخطب العامـة. وأكـره أن أصـوَّر كأسـد. وأتسـاءل إن كنت مـازلت أمتلك الصـحة لأواجه التـوتر النـاجم عن إلقاء خطبة أمـام الجمهـور أو المشـاركة في مظـاهرة عامة. **(هاريجان، 11-2-1939)**

الصوت الذي في داخلي

هنـاك لحظـات في حياتك تجعل الفعل واجبـاً، لكن حتى في هذه الحـال لن يكـون بوسـعك جلب صـديقك معك. يجب أن يكون ذلك "الصوت الخافت" الـذي في داخلك هو الحَكَم دائمـاً عنـدما تواجه صـراعاً يتعلّق بالواجب.

(الهند الفتاة، 4-8-1920، ص3)

***

لا تثق إلاّ بنفسـك. عليك محاولة الاسـتماع إلى الصـوت الـداخلي، وإن لم تكن تعـرف عبـارة "صـوت داخلي"، فبوسعك استخدام عبارة "أوامر العقل" الـتي يجب الامتثال لها. لأنك إن كنت لن تدعو لله، فأنا واثق أنك ستدعو لشيْ آخر سيثبت في النهاية أنه الله، لأنه، ولحسن حظنـا، لا يوجد أحـد، ولا يوجد شـيء، في هـذا الكون سوى الله.

(بومباي كرونيكال، 18-11-1932)

***

قبل أن يتمكن المرء من الاستماع إلى ذلك الصوت، عليه اجتيـاز درس مِـران طويل وملائم من الخدمـة. لا يمكن استغفال الناس لوقت طويـل، لـذلك لا يوجد أي خطر من انتشار الفوضى إن لم يسـتبعد رجل متواضع مثلي، (رجل) كانت له جـرأة الـدعوة لسـلطة الصـوت الداخلي، وصدَّق ما سمع عنه.

(هاريجان، 18-3-1933، ص8)

***

يعتقد بعضـهم أن اللهِ ذاته من اخـتراع مخيّلتنـا. إن كان هذا المنظور صـائباً فعندئـذٍ ما من شـيء حقيقي، وكل الأشياء محض خيال. الصـوت بالنسـبة لي حقيقيّ أكـثر من وجـودي نفسـه؛ فهو لم يخـذلني قـطّ، وبهـذا الخصـوص، لم يخـذل أحـداً. وبوسع أيٍّ كـان الاسـتماع إليه لو أراد، لأنه موجود في كل منّا. لكنـه، كـأي شـيء آخر، يحتاج للقليلٍ من الاستعداد.

(هاريجان، 8-7-1933، ص4)

***

صيامي...

ديني يعلمني أنه حين تحـلّ مصـيبة يسـتحيل تجنبهـا، فإن كل ما بوسع المرء فعله هو الصوم والصلاة.

(الهند الفتاة، 25-9-1924، ص319)

***

لا أتحمل مسـؤولية هـذا الصـوم، ولست أصـوم لأتسـلى، ولن أعـذب جسـدي طلبـاً للشـهرة. إذ حين أشير إلى أني أتحمل - بغبطة - آلام الجـوع وغيرها من المنغصـات الـتي يسـببها الصـوم، فلا تعتقـدوا أني لا أتعـذب. لكن يمكنـني تحمّل هـذا الصـوم فقط لأنه مفـروض علي من سـلطة عليا تمنحـني القـدرة على تحمله.

(هاريجان، 24-8-1924، ص223)

***

الصـوم الحقيقي يُطهِّر الجسد والعقل والنفس. إنه يقـوّي الجسد إلى حـدٍّ يجعل النفس حـرة. أما الصـلاة الصادقة فبوسعها فعل المعجـزات، لأنها تعبِّر عن تـوق النفس المُلِّح إلى مزيدٍ من الطهارة. وعنـدما تسـتخدم

هــذه الطهــارة المكتســبة لأجل غاية نبيلة تتحــول إلى صلاة.

(الهند الفتاة، 24-3-1920، ص1)

***

قناعتي الخاصة والراسخة هي أن قوة الـروح قـادرة على قهر الجسد.

(الهند الفتاة، 23-10-1924، ص354)

***

هنـاك شــيء له علاقة بالامتنـاع عن إشـباع رغبـات الجسـد. إذ تسـتحيل رؤية وجه الإله ما لم نصـلب هـذا الجســـد، لأن تلبية احتياجـــات الجسد كهيكل للألوهة شيء، ورفضه كجسد بحد ذاته شيء آخر.

(هاريجان، 10-12-1938، ص373)

***

لقد قـاومت هـذا بنجـاح في أعمـال الصـوم[2] الـتي قمت، أو هددت، بها. وإذا كـان الخيط الـذي يفصل بين الغايات االأنانية وغير الأنانية موضوع جدلٍ ورقيقٍ جـداً، فـإني أؤكد أن الشـخص الـذي يتطلع إلى نهاية الصـيام هو شــخص أنــاني وإلاّ يجب أن تتغــير القاعــدة بحيث تصبح رفض الاستســلام حـتى وإن أدى هـذا إلى مـوت الصائم. لأن الناس إذا ما اعتـادوا تجاهل الصـوم الـذي بات يستخدم، من وجهة نظرهم، لغايـات غـير جـديرة، فإن الصـوم سـوف يفقد صـفة الإكـراه الفعـال، ويفقد تأثيره الذي أضحى بلا مبرر.

(الهند الفتاة، 1-5-1924، ص145)

***

ككل المؤسسات الإنسانية، يمكن اسـتخدام الصــوم لغايــات مشــروعة، أو لغايــات غــير مشــروعة. لكن،

---

[2] - هنا تأتي كلمت صيام بمعنى الإضراب عن الطعام (المترجم)

كسلاح كبير في مخزون أسلحة الساتياغراها[3]، لا يمكن التخلي عنه بسبب أضراره الممكنة.
(هاريجان، 9-9-1933، ص5)

***

تناقضاتي

أرفض أن أكون عبداً للماضـي، أو أن أمـارس شـيئاً ليس بوسعي تفهمه أو الدفاع عنه اسـتناداً إلى قاعـدة أخلاقية.
(الهند الفتاة، 21-7-1921، ص228)

***

يؤكد الأصدقاء الـذين يعرفونـني أني متطـرف بقـدر اعتـدالي، ومحافظ بقـدر راديكـاليتي. رغم أني، وربما لحسن طـالعي، لـدي أصـدقاء متطرفـون من كل الأنماط. ويعود هذا الخلـط، حسـبما أعتقـد، إلى فهمي الخاص للأهيمسا[4].
(الهند الفتاة، 13-2-1930، ص52)

***

لم يكن التناغم وثناً بالنسبة لي يوماً، لأني مريد حق وعلي أن أعبّر عما أشـعر وأفكر به في لحظة معينة حول مسألة ما، دون أن آخذ بعين الاعتبار ما سـبق لي أن قلته. ... فمع جلاء رؤيتي تتوضّح نظـرتي) من خلال الممارسة العمليـة. وحين أبـدّل رأيي سـيبدو التغيـير واضحاً، لكن النظرة العميقة وحـدها تسـتطيع أن تمـيز تطوراً تدريجياً قد لا يبدو ملحوظاً للوهلة الأولى.
(الهند الفتاة، 28-9-1934، ص260)

***

[3] - كلمة سنسيكريتية تعني اللجوء إلى قوة الحقيقة أو قوة الروح
[4] - بمعنى اللاعنف أو اللا أذية.

لا يهمني إن كنت قد فعلت شـيئاً واحـداً في حيـاتي من منطلق نفعي، لأني اعتـــبرت أن أقصى درجــــات الأخلاقية هي - دائماً - أقصى درجات النفعية.

(هاريجان، 8-12-1933، ص8)

***

غالباً ما اتُّهمت بـأني عنيد الطبـاع، وأُخـبرت بـأني لا أنصـاع لقـرارات الأغلبيـة. واتُّهمت بـأني متسـلط. ... لكـــني لم أســتطع البتة قبـــول تهمة العنـــاد، ولا تهمة التسلط. بل بالعكس، أنا أفـاخر بطبعي المـرن في كل القضـايا غـير الحيويـة. كما أني أكـره التسـلط. إذ إني أُقدِّر حريتي واستقلالي بقدر ما أقدِّس هذه الأمور لدى الآخرين، لأني لا أرغب في أن تتبعـني نفسٌ واحـدة إن لم يكن بوسعي مخاطبة عقلها.

(هاريجان، 5-9-1936، ص237)

***

حياة الإنسان عبارة عن سلسلات من التسـويات، ما يعني أنْ ليس من السهل أن ننجز على أرض الواقع ما كنا نعتقد أنه صحيح من الناحية النظرية.

(هاريجان، 5-9-1936، ص237)

***

حول كتاباتي

لقد أصبح تلعثمي في الكلام، والتي كـانت ذات يـوم مصـدر إزعـاج بالنسـبة لي، مصـدراً للمتعـة. وفائـدتها الرئيسة هي أنها علمتـني الاقتصـاد في الكلمـات. كما تكونت لدي عادة كبح أفكاري، بحيث بات بوسـعي الآن أن أشـهد أنه نـادراً ما خـرجت من فمي، أو قلمي، أية كلمة باســتهتار. ولا أتـــذكر البتة أني نـــدمت على أي شـيء قلته في خُطـبي أو كتابـاتي، الأمر الـذي جنبـني الكثير من الحوادث المؤسفة، ومن ضياع الوقت.

(سيرة ذاتية، أوقصة تجاربي مع الحقيقة، ص45)

***

لا مكان لغير الحقيقة فيما أكتب، لأن عقيـدتي الـتي لا تـتزعزع هو أن لا دين سـوى الحقيقـة، ولأني قـادر على رفض أي شـــيء حصـــلت عليه على حســـاب الحقيقة.

(نفس المصدر)

***

قد لا يتخيل القارىء مقـدار الكبح الـذي أمارسه من أسـبوع لأسـبوع حين أختـار مواضـيعي وكلمـاتي، لكنه تـدريب بالنســبة لي. تـدريب يســمح لي أن أُغنّي في داخلي، وأن أكتشف نقاط ضعفي. لأن غروري غالباً ما يملي علي عبـارةً ذكيـة، أو يملي علي غضـبي سـلوكاً قاسياً. لكن اقتلاع هذه الأعشاب الضارة محنة قاسـية، وتدريباً حسناً في الوقت نفسه.

(الهند الفتاة، 2-7-1925، ص232)

***

أكتب كيفما تقودني الـروح لأن أكتب. ولا أدعي البتة بأني أعرف بالمطلق ما إن كانت كل الأفكـار الواعيـة، والأفعال التي قمت بهـا، كـانت بـدافع من الـروح. لكنه حينما أتمعن في الخطـوات الكبـيرة الـتي اتخـذتها في حياتي، وحتى تلك التي يمكن اعتبارها بالصغيرة، أتفكر بأنه ليس من الخطأ أن أقــول إنها كــانت بــوحي من الروح.

(سيرة ذاتية أوقصة تجاربي مع الحقيقة، ص206)

***

الفصل الثاني

حول الحقيقة

بعضاً من إنجيل الحقيقة

لأن الجميع يـــدّعي، في اللحظة الراهنـــة، أحقية الضمير من دون الاستناد إلى أية قاعـدة على الإطلاق، ولأن الكثـير جـداً من الكـذب يُقـدَّم لعالمنا المشـوش، فإن كل ما بوسعي تقديمه لكم، وبمنتهى التواضــع، هو أنه لا يجب البحث عن الحقيقة لدى أي شخص لا يتمتع بأقصى درجــات التواضــع، لأن من الــواجب عليك أن تغدو صفراً إن كان عليك عبور محيط الحقيقة.

(الهند الفتاة، 31-12-1931، ص428)

***

[...] لكــني أعبد لله كحقيقة فقــط. لم أجــده بعــد، لكني أسعى إليـه. وأنا مسـتعد للتضـحية بـأعز ما أملك من أجل تحقيق هــذا الهــدف. وحــتى لو كــانت هــذه التضــحية تتطلب مــني حيــاتي، فــإن كل أملي هو أن أكون مستعداً لذلك. لكن طالما لم أحقق هذه الحقيقة المطلقة، فسأبقى مرتبطاً بتلك الحقيقة النسـبية الـتي أتصـورها. وهـذه الحقيقة النسـبية سـتبقى، حـتى ذلك الحين، منـارتي، والـدرع الـذي يحميـني. ورغم أن هـذا الــدرب مسـتقيم وضـيق وحـاد كنصل شـفرة، إلاّ أنه بالنسـبة لي كـان الأسـرع والأسـهل، فحـتى أخطـائي الفاضحة كانت تبدو بالنسبة لي تافهةً لأني تمسـكت به بحزم. فهذا الدرب أنقـذني من الشـعور بـالحزن الـذي تجاوزته على ضوء النور الذي يضيء طريقي. وغالباً ما كنت أشـعر خلال مسـيرة تطـوري بـأني ألقي نظـرات خاطفة على الحقيقة الكلّية الـتي هي اللــه. ويومــاً بعد

يوم كانت قناعتي بأنه وحده الحقيقي، وبأن كل شيء آخر غير حقيقي، تزداد رسوخاً.

***

يجب أن يكون الساعي إلى الحقيقة أكثر تواضعاً من الغبار. العالم يسحق الغبار تحت أقدامه، أما الساعي إلى الحقيقة فعليه أن يكون أكثر تواضعاً بحيث يكون بوسع حتى الغبار أن يسحقه. عندئذ فقط، وليس قبل ذلك، يكون بوسعنا إلقاء نظرة خاطفة على الحقيقة.

(سيرة ذاتية أو قصة تجاربي مع الحقيقة، ص15)

***

خلال المسيرة نحو الحقيقة، يتنحى الغضب والأنانية والحقد.. إلخ، جانباً، لأنه لولا هذا لكان من المستحيل الوصول إلى الحقيقة. إذ من الممكن أن تكون عند الإنسان، الذي تتحكم به العواطف، ما يكفي من النيات الطيبة، وأن يكون صادقاً في كلامه، ورغم ذلك لن يجد الحقيقة مطلقاً. لأن البحث الناجح عن الحقيقة يعني التحرر الكامل من ركام الثنائيات كالحب والكراهية، والسعادة والبؤس.

(نفس المرجع السابق، ص ص254 و255)

***

حتى يكون بوسع المرء أن يرى الكونيّ، وأن يواجه الحقيقة المنتشرة في كل مكان، عليه أن يكون قادراً على حب ما تعنيه الخليقة ككل واحد. والإنسان الساعي إلى ذلك ليس بوسعه أن يتحاشى أي حقل من حقول الحياة. لهذا السبب جرّني حبي الشديد للحقيقة إلى حقل السياسة؛ وهنا بوسعي أن أقول دون أي تردد، وبكل تواضع، إن الذين يقولون بأن

ليست هناك علاقة للدين بالسياسة، لا يفقهون معنى الدين.

(المرجع نفسه، ص ص370 و371)

***

تكمن الحقيقة في قلب كل إنسان، وعلى المرء أن يبحث عنها هناك، وأن تقوده الحقيقة كما يراها. لكن لا يحق أحد إرغام الآخرين على العمل وفق رؤيته الخاصة للحقيقة.

(هاريجان، 24-11-1933، ص6)

***

الله وحده يعلم ماهية الحقيقة المطلقة. لذا، غالباً ما قلت إنّ الله هو الحقيقة. وما ينتج عن هذا الفهم هو أنْ ليس بوسع الإنسان، ككائن محدود، أن يعرف ماهية الحقيقة المطلقة.

(هاريجان، 7-4-1946، ص70)

***

حين أحاكم نفسي يتوجب علي أن أكون قاسياً كالحقيقة، وأن أرغب في أن يكون الآخرون كذلك. لأني حين أقيس نفسي وفق هذا المعيار أصرخ مع سورداس (شاعر هندي أعمى عاش في القرن السادس عشر):

هل من تعيس،
مؤذٍ وكريه مثلي؟
لقد تخلّى الخالق عنّي،
بقدر ما كنت ضعيف الإيمان.

(سيرة ذاتية أو قصة تجاربي مع الحقيقة، ص16)

***

أنا باحث متواضع وجادّ جداً عن الحقيقة. وخلال بحثي تعاملت مع كل الرفاق الذين تبعوني بمنتهى الثقة، وبحيث يكون بوسعي دائماً معرفة أخطائي

وتصــحيحها. وأعــترف بــأني كثــيراً ما أخطــأت في تقديراتي وأحكـامي... وبمقـدار ما كنت، في كل حالـة، أراجع خطئي، لم يحصل أي ضرر مستديم نتيجة لــذلك بل، بالعكس، أصبحت الحقيقة الأساسية للاعنف أوضح من أي وقت مضى، ولم يتأذَّ البلد بشكل مستديم.

(الهند الفتاة، 21-4-1927، ص126)

***

أولئك الـذين ربما خُـدعوا بالقـدوة الـتي أقـدِّمها كـانوا سـيتخذون نفس المنحى إن لم يعلمـوا شـيئاً عن عملي، لأن ما يقود سلوك المرء، في نهاية المطاف، هو ما تمليه عليه ردود أفعاله الداخلية المباشــرة، رغم أنه قد يقتــدي أحياناً بالآخرين. لكن حتى لو كانت هذه هي الحـال، فـإني أعلم أنّ العالم لم يتألم يومـاً بسـبب أخطـائي لأن مردّها كلّها كان بسبب جهلي. إذ أنّ قناعتي الراسخة هي أن أيـاً من أخطائي لم يكن مقصوداً.

(الهند الفتاة، 3-1-1929، ص6)

***

صـدقوني حين أقـول لكم، بعد 60 سـنة من التجربة الشخصـــــية، أن البلية الحقيقية تكمن في التخلي عن طريق الحقيقة. لأنك إن لم تفعل شيئاً سـوى تحقيقـه، فإن صـلاتك الوحيـدة لله سـتكون دائمـاً أن تتمكن من التعبير بلا خوف، وأياً كانت التجارب والصـعوبات الـتي ستصادفها أثناء بحثك عن الحقيقة. (غير مفهوم، إعـادة صياغة)

(هاريجان، 28-7-1946، ص243)

***

يجب أن يبقى إيمان الإنسـان في الحقيقة راسـخاً ، حتى وإن بدا بأن العالم كله قد تبنّى الضلال.

(هاريجان، 22-9-1946، ص322)

***

الله هو الحق

هناك قوة غـير محـددة وغامضة تحيط بكل الأشـياء. إنني أشعر بها، رغم أني لا أراهـا. إنها تلك القـوة الـتي تجعلك تشـعر بهـا، وتجعلك تتحـدى كل الـبراهين لأنها تتجـــــاوز كل ما أتلمسه بحواســــي؛ فهي تعلو على الأحاسيس. لكنّ العقل بوسعه، إلى حد ما، أن يسـتنتج وجود الله.

***

لم أَرَه، ولم أتعرَّفه، لكـني جعلت من إيمـان العـالم بالله إيمـاني، ولما كـان إيمـاني لا يـزول، فقد اعتـبرت هـذا الإيمـان دليلاً على التجربـة. لكنـني، لما كـان من الممكن أن نقول إن وصف الإيمـان بالتجربة هو تلاعب بالحقيقـة، أجد أن الأصح ربما هو أن أقـرّ بـأني لا أملك تعبيراً بوسعه أن يصف إيماني بالله.

(سيرة ذاتية أو قصة تجاربي مع الحقيقة، ص206)

***

في شـــبابي المبكّر تعلمت أنْ أردد أنّ الكتابـــات الهندوسـية تعـرف ألـفَ إسـمٍ للإله، لكن تلك الأسـماء الألف لم تكن حصـرية بـأي شـكل. فنحن نـؤمن، وأنا كــذلك أعتقــد، بــأن هــذه هي الحقيقة – أن لله من الأسماء بمقدار عدد الكائنات. لهذا نقول أيضـاً أنّ الإله لا أسـماء لـه. وبما أن لله العديد من الأشـكال، فنحن نعتـبره بلا شـكل. وبما أنه يتحـدث بعـدة ألسـن، فإننا نعتبره لا يتكلم، وهكـذا...، وقد وجـدت هـذا أيضـاً حين درست الإسلام، فاكتشـفت أن لله العديد من الأسـماء في الإسلام كذلك.

***

الحقيقة والجمال

الحقيقة هي أول شـــيء نتفكر بـــه. بعد ذلك يـــأتي الجمــال، وتــأتي الطيبــة، فتترســخان فينــا. لقد كــان المسـيح، من منظـوري العقلي، فنانـاً كبـيراً جـداً لأنه رأى الحقيقة وعبّر عنها؛ وهكذا كان أيضاً محمد، وكــان القـرآن من هـذا المنظـور – وبكل المقـاييس - التعبـير الذي يقارب الكمال في الأدب العـربي ككـل، كما قـال العلمـاء. وهـذا يعـود إلى أنّ كليهما (المسـيح ومحمـد) كانا يسـعيان إلى الحقيقة أولاً، ما جعل جمـال العبـارة تـأتي بشـكلٍ طـبيعي. ورغم هـذا، لم يكتب المسـيح أو محمد شــيئاً حــول الفن. إنما هي الحقيقة الــتي أحنّ إليهــا، وأعيش من أجلهــا، وأنا مســتعدٌّ للمــوت في سبيلها.

(الهند الفتاة، 20-11-1924، ص386)

***

الوجه الجميــل، بالنســبة للفنــان الحقيقي، هو ذلك الذي، بمعزل عن مظهره الخارجي، يشـعّ بالحقيقة من خلال روحه؛ إذ... لا وجود للجمال بمعزلٍ عن الحقيقـة. ومن جانب آخر يمكن للحقيقة أن تتجلى بعـدة أشـكال قد لا تكون من حيث المنظور الخارجي جميلة بالنســبة للجميع. فسقراط - كما سمعنا - كـان أصـدق رجل في زمانه، ورغم هذا قيل عن وجهه إنه كـان الأكـثر دمامـةً في اليونــان. من منظــوري، كــان ســقراط جميلاً لأنه ســعى إلى الحقيقة طــوال حياتــه. وبوســعكم هنا أن تتذكروا أن شكله الخارجي لم يمنع فيدياس من تقــدير جمال حقيقته الداخلية، رغم أنه كان معتـاداً - كفنـان – على رؤية الجمال في الأشكال الخارجية أيضاً.

(الهند الفتاة، 13-11-1924، ص377)

***

الفصل الثالث

في تجاوز الخوف

من إنجيل "من لا يخاف"

الشرط الأول للروحانية هو عدم الخوف؛ إذ ليس في مقدور الجبناء أن يكونوا أخلاقيين.

(الهند الفتاة، 13-10-1921، ص323)

***

لا يوجد الدين حيث يوجد الخوف.

(الهند الفتاة، 2-9-1926، ص308)

***

عدم الخوف يعني التحرر من كل المخاوف الخارجية – كالخوف من المرض، ومن أذية الجسد، ومن الموت، ومن فقدان ما نملك، ومن فقدان القريب أو الحبيب، ومن فقدان السمعة، أو من الإهانة، وهكذا.

(الهند الفتاة، 11-9-1930، ص ص1 و2)

***

[...] وهكذا نكتشف أن كل المخاوف هي من صنع مخيلاتنا، ما يعني أنّ الخوف لن يبقى له مكان في قلوبنا حين نلقي جانباً تمسكنا بالثروة من أجل العائلة، ومن أجل الجسد. "تينا تياكتينا بهونديتاه" (استمتع بالأشياء الأرضية عبر تخليك عنها) هو تعليم نبيل. في هذه الحالة، يصبح كل من الثروة والعائلة والجسد سواسية؛ وعلينا فقط تغيير مسلكنا تجاهها، لأنها جميعها ليست لنا بل لله، لأننا لا نملك شيئاً في هذا العالم، حتى وإن كان هو يملكنا. فلماذا، إذاً، علينا أن نخاف؟

***

[...] لهذا تعلمنا الأوبانيشاد "أن نتخلى عن تعلقنا بالأشياء التي نستمتع بها". ما يعني، أنه يجب علينا

التعامل معها ليس كمــالكين لها بل كمؤتمــنين عليهــا. فالــذي جعلنا نســتحوذ عليها سـيعطينا القــوة والسـلاح الضروريين في مواجهة كل المهاجمين.

***

فلنخشَ الله، وسنكفّ عن الخوف من الإنسان.

(كتبات وخطابات الماهاتما غاندي، ص130)

***

عــدم الخــوف لا يعــني التبجح أو العدوانيــة؛ فهــذه المظاهر هي بحد ذاتها من علامـات الخـوف، لأن عـدم الخوف يفترض الهدوء وراحة البال. لـذا من الضـروري أن تكمن حياتنا في مخافة الله.

(هاريجان، 3-11-1946، ص388)

***

على كل امرىء تعلُّم فنّ الــدفاع عن النفس. وعلينا تلقُّن هـذه الحالة الذهنية عوضـاً عن تـدريب أجسـامنا على الرّد، لأن تدربنا الذهني كـان متماهيـاً مع شـعورنا بالعجز. والشجاعة ليست صفة جسـدية بمقـدار ما هي روحية. فكم رأيت من الجبناء المفتولي العضلات، وكم رأيت شجاعةً نادرة كامنة في أجســام نحيلــة... لـذلك، على الأضـــــعف بيننا تعلّم فنّ مواجهة المخـــــاطر، ومحاسبة جيدة للنفس.

(الهند الفتاة، 20-10-1921، ص335)

***

في هـذا البلـد، الـذي يسـوده محـو الـذات والخجل المقــارب حــدّ الجبن، ليس بوسـعنا امتلاك الكثـير من الشـجاعة، أو الكثـير من روح التضـحية... وأنا أريــد... أكبر شجاعة للخانع واللطيف واللاعنفي، تلك الشجاعة التي بوسـعها رفع العـوارض من دون أذى، أو حمل أي فكرة بالإضرار بأي روح.

(الهند الفتاة، 2-4-1931، ص58)

***

الفصل الرابع

في الإيمان

من إنجيل الإيمان

سـرعان ما يصل المـرء من دون إيمـان إلى العـدم. والإيمان الحق هو اعتناق التجربة الصائبة لأنــاس نعتقد أنهم عاشوا حياتاً حررتها الصلاة والتوبة. وهذا يعني إنّ الإيمان بالأنبياء والـوحي، المسـتمرّ منذ زمنٍ بعيد ليس مجرّد وهم، وإنما تلبيةُ حاجةٍ روحية داخلية.

(الهند الفتاة، 14-4-1927، ص120)

***

العقلانيـون مخلوقـات رائعـة، أما العقلانية فـوحشٌ كريه حين تـدعي كلية قـدرتها. فإعطـاء صـفة القـدرة الكلية لمنطق سـيئ كضـرب من الإعجـاب الأعمى بمقام جذع شجرة مقطوع، أو بحجر، معتقدين أنه إله.

(الهند الفتاة، 14-10-1927، ص359)

***

دعوني أشـرح لكم ما أعنيه بالـدين: إنه قطعـاً ليس الديانة الهندوسـية الـتي أقـدِّرها حتمـاً أكـثر من بـاقي

الديانات، بل الدين هو ما يسمو فوق الهندوسية، فيغير طبيعة كل شـخص، ويربط الشـخص بشـكل لا ينفصم بالحقيقة الــتي يطّهر المــرء من خلالهــا. إنه العنصر الراسخ في الطبيعة البشــرية الــتي لا تبخل بــأي ثمن لكي تبلغ كامل تحققهـا، ولا تـدع للنفس مجـالاً للراحة حتى تتعرّف إلى نفسها، فتعرف خالقهـا، وتقـدِّر حقيقة التطابق بين الخالق وبين الذات.

(الهند الفتاة، 12-5-1920، ص2)

***

هو نفس الشـــيء؛ فحين أقـــول إني أضع خلاصي أعلى من أي شيء آخر، أعلى من خلاص الهند، فهذا لا يعني إنّ خلاصي الخاص يتطلب التضـحية بخلاص الهند السياســي، أو بخلاص أي شــخصٍ آخــر، بل يعــني بالضروة أنّ كلاهما مترافقان.

(الهند الفتاة، 23-2-1922، ص123)

***

هــذا هو الــدين (بمعــنى الــدهارما) الموافق للكتب المقدسة، والمتّبع من قبل الحكماء، والمفسَّر من قبل المعلّمين، والذي يدعو إليه القلب. لأن الشروط الثلاثة الأولى يجب أن تتحقق قبل أن يتجاوب الشرط الرابـع. لــذا فهو ليس في متنــاول أحد من أتبــاع وصــايا رجل جاهل أو وضيع، وإن كانت يعو للشـيء ذاتـه. لأن اتِّبـاع نظـام "عـدم الأذى" الصـارم، وعـدم الـنزاع ونكـران الـذات، يعـدُّ من أول المتطلبـات الـتي تؤهل الشـخص بأن يبشّر بالشرع (بمعنى الدهارما).

(هاريجان، 17-11-1946، ص397)

***

لــــدي قناعة مطلقة بــــأنّ أي دين ليس بوســـعه الاستمرار عن طريق القوة الغاشمة. بل بـالعكس، من يرفع السيف بالسيف يُقتل.

(هاريجان، 9-3-1934، ص29)

***

الـــروحي يتضـــمن الأخلاقي. [...] عـــبر مســـيرتي كمصـلح، نظـرت إلى كل الأشـياء من منظـور أخلاقي. فســواء كنت منهمكــاً في معالجة قضــية سياســية أم إقتصادية كان الجــانب الأخلاقي يقحم، ويفـرض، نفسه على موقفي بمجمله.

(هاريجان، 9-3-1935، ص51)

***

عدد الأديان على أرض الواقع كعدد البشر.

(القواعد الهندية، ص39)

***

معنى الألوهة

الله ذاته هو الشرع وواهب الشرع، والتسـاؤل حـول من خلقه لا يجـــوز أن يطـــرح، على الأقـــل، من قبل مخلوق تافه كالإنسان. فالإنسان بوسعه صـنع كرسـي، لكن ليس في مقدوره صنع الخشب. لكن بوسعه، رغم هـذا، تصـوير الله في خياله بعـدة طـرق. لـذلك كيف بوسع الإنسان غير القـادر على خلق النهر أو الخشـب، أن يخلق الله؟ ما يعني أن خلق الله للإنســان حقيقة لا تقبل النقاش، وكل ما سوى ذلك مجــرد وهم. يبقى أن بوسع أيّ كان - إن أراد - أن يقول إنّ الله ليس الصانع، وليس السبب، وإنه قادر على التنبؤ بالاثنين.

(هاريجان، 14-4-1946، ص80)

***

ليكن ذلك واضــحاً. إنّ الكليّ القــدرة ليس شخصــاً مثلنا، لأنه أكبر قوة حية أو قانون في العــالم، ما يعــني أن أفعاله ليست مزاجيـــــــــة، وأن قانونه لا يقبل أي تحسين أو إضـافة. وأن إرادته ثابتة لا تتغـير، أما كل ما تبقى فيتغير بلمح البصر.

(هاريجان، 28-7-1946، ص233)

***

الله كلّي الطيبة لــذا، فهو لا يتضــمن أيّ شــر. لقد خلق الله الإنســان على صــورته. لكن لســوء حظنــا، تصوَّره الإنسان على شـاكلته أيضـاً. وهـذا الانتحـال هو الذي أوقع الإنسان في خضم بحر من المشاكل.

الله هو الخيميائي الأكـبر. ومن خلال وجـوده يتحـول كل حديد وخبث إلى ذهب صاف، ويتحول كل شــرّ إلى خير.

***

من غــــير الممكن تحقيق الله عن طريق الفكــــر؛ فــالفكر بوســعه أن يقــود الإنســان إلى حــدٍّ لا يمكن تجاوزه. القضية قضية خبرة، والخبرة تنبع من الإيمــان. والإنسان بوسعه - من أجل ذلك - أن يستند إلى تجربة شــخص أفضــل، أو إلى تجربته الخاصــة. لكن الإيمــان الكلّي لا يحتاج إلى التجربة.

(هاريجان، 4-8-1946، ص249)

اليوم، في الغرب، ترى الناس يتحدثون عن المسيح، لكنّ الحقيقة هي إنّ المهيمن الـذي يتحكم بحيـاتهم هو نقيض المسيح. والأمر نفسه في الإسلام، فهناك أنــاس يتحدثون عن الإسلام، لكنهم في الحقيقة يتّبعون طريق الشــيطان. [...] لو اتَّبع النــاس طريق اللــه، لما كــان هناك في هذا العـالم أيّ فسـاد، ولا أيّ اسـتغلال، حيث يزداد الأغنياء غناً والفقراء فقراً، وحيث الجوع والعــري والمـوت يصـفع المـرء على وجهـه. لا يوجد - ههنا – ما يشير إلى مملكة اللــه، وإنما إلى مملكة إبليس، مملكة رافانا أو نقيض المســيح. لا يمكننا تحقيق ملكــوت الله في عالمنا بمجرد النطق باسم اللـه، بـرؤوس شـفاهنا،

لأن سـلوكنا يجب أن يتوافق مع طرائقـه، وليس مع طرائق الشيطان.

(هاريجان، 23-6-1946، ص ص186 و187)

***

يقـال في الفيـدانتا[5] إنّ العـالم مايا (أي: وهم، وفق الفلسفة الهندية)، لكن حتى هذا التفكير إنما يـدلّ على نقص في الإنسانية. لذا، لن أشغل رأسي بالأمر. وحتى لو مكّنني الأمر من الولـوج إلى غرفة الله فلن آبه لـه، إذ لا يجب أن أعـرف ما الـذي عليّ فعله هنـاك، حيث يكفي لنمونا الـوحي أن نعـرف أنّ الله مع فاعل الخـير دائماً. هذا التفسير أيضاً تفسير ريفي.

(هاريجان، 7-9-1935، ص233)

أنا أؤمن (ولا أؤمن في الـوقت نفسـه) بـالمعجزات، لأنّ الله لا يعمل عن طريق العجـائب، بل العقل الإلهي يعلن عن ذاته عبر ومضةٍ تبدو للإنسان كمعجـزة. إننا لا نعـرف اللـه، بل نعرفه فقط من خلال عمل شـريعته، لأن الله وشـريعته واحـد، وما من شـيء خـارج هـذه الشريعة. فلا الهزات الأرضية ولا العواصف بوسـعها أن تحـدث، ولا حـتى عشـبة بوسـعها أن تنمو من دون مشيئته. والشيطان موجود فقط من أجل شـقائه، وهو ليس مستقلاً عن الله.

(هاريجان، 7-4-1946، ص75 و76)

***

[...] هذا يعني إنّ الإيمان بالأنبياء وبالذين عاشوا في الأزمنة الغـابرة ليس مجـرد وهم، إنما هو حاجة روحية عميقة.

(الهند الفتاة، 14-4-1927، ص120)

***

---

[5] - بمعنى الفلسفة المتضمنة في الأوبانيشاد

هو وشريعته واحد، لأن الشـريعة هي اللـه. ما يعـني أن كل ما يعــزى إليه ليس مجــرد صــفة؛ فهو الحقيقة والحب والشريعة وملايين الأشـياء الأخـرى الـتي بوسع الإبداع الإنساني تسميتها.

(هاريجان، 16-2-1934، ص4)

***

معرفتي بغايته محدودة. ومصائب كهذه ليست مجرد نــزوة من نــزوات الألوهة أو الطبيعــة؛ فهي خاضــعة لقــوانين كــالنجوم الــتي تتحــرك وفق قــوانين تحــدد مسيرتها. ونحن لا نعرف قط القوانين الناظمة لتلك الحوادث التي ندعوها مصائب أو اضطرابات.

(هاريجان، 2-2-1934، ص1)

***

من وجهة نظري، ما راما أو الرحمن أو أهـورَمَزدا أو الله أو كريشـــنا ســـوى محـــاولات من قبل الإنســـان لتسمية تلك القوة غير المرئية والتي تفوق كل القـوى. وهي متأصـلة في الإنسـان السـاعي - دونما كلل - إلى الكمــال، مهما كــانت محدودية فكــره. فكما يحــاول الطفل الوقوف فيقع ثم يقع لكي يتعلم المشي، كـذلك الإنســان، رغم كل ما يمتلكه من ذكــاء، تــراه كالطفل الصغير مقارنة بلامحدودية الله الـذي لا يحـدّه الزمـان. ما أقوله قد يبدو مبالغاً فيه، لكن ما يستطيعه الإنسـان هو فقط وصف الله بلغته الفقيرة.

(هاريجان، 18-8-1946، ص267)

***

يا إلهي

عنــدما كنت طفلاً، علمتــني مربيــتي أن أردد اسم *رامانامـا*[6] (بمعــنى: يا اللــه! (اسم رام يعــني: الأول))

---

[6] - كانت هذه آخر كلمة قالها حين أطلق عليه النار وقبل أن يموت.

حينما أشــعر بــالخوف أو التعاســة، لكنــه، مع تطــور معرفتي وبتقدم السنين، أصبح طبيعة ثانية لي. إلى حدٍّ يمكنني فيه القول إنّ هـذه الكلمة أصـبحت في قلـبي، إن لم تكن على شفاهي طـوال أربع وعشـرين سـاعة. لقد كان مخلِّصـي، وأنا متمسك بهـذا دائمـاً. في الأدب الروحـــاني للعـــالم، احتلّت *رامايانا* (من أســـماء الله بالهندوسية) كما عبّر عنها *تولسيداس* (شاعر هندي من القرن السادس عشـر) مكانة خاصـة؛ فقد كـانت تتمتّع بجمالٍ لم أجده في *ماهابهاراتا*، ولا حـتى في *فـالميكي رامايانا* (أهم شـــاعر سنســـكريتي وصـــاحب ملحمة رامانايا).

(هاريحان، 17-8-1934، ص213)

***

أضحك في أعماقي حين أسمع بعضهم يعـترض على أنّ *الراما* أو تلاوة *رامانامـا* هي للهنـــود فقـــط، فكيف يمكن للمستمع أن يشارك فيهـا؟ وأتسـاءل هل من إله للمسلمين وآخر للهنود، أو لبـاريز أو للمسـيحيين؟ كلا! لا يوجد ســوى إله واحد كلي القــدرة والوجــود. فقط تسمياته تختلف، ونحن نـذكره من خلال الاسم الأقـرب إلينا.

***

في الحقيقـة، يمكنـني القـول إن امتلاك قلب صـاف يفعل فعله الحسن من دون ترداد رامانامـا. ولا أعـرف طريقاً أخرى لبلـوغ الطهـارة، لأنها الطريق الـتي بشّـر بها الحكمـاء في كل أنحـاء العـالم، وعلى مر العصـور، لأنهم كانوا ينطقـون باسم اللـه، ولم يكونـوا واهمين أو دجالين.

(هاريجان، 9-6-1946، ص171)

***

صلاة لتغذية روحي

لا أفعل شـيئاً دون صـلاة؛ فالإنسـان كـائن غـير معصـوم، وليس بوسـعه أبـداً أن يتأكّد من خطـاه. وما يمكن أن يتخيله، كاستجابةٍ لصلواته، قد يكـون مجـرّد صـدى كبريائـه. لكي لا يضـلّ الإنسـان طريقه عليه أن يمتلك قلباً ناصـعاً، غـير قـادر على عمل الشـرّ، وليس بوسـعي أن أدعي هـذا؛ فـروحي ناقصة وشـاردة ومجاهدة وتشق طريقها بصعوبة.

(الهند الفتاة، 25-9-1924، ص313)

***

بوسـعي أن أخـبركم، الآن، أن الصـلاة لم تكن جزئـاً من حياتي كما كانت الحقيقـة، بل كـانت وليـدة الحاجة المحض، حين أخـذت عهـداً على نفسي أنه لم يعد بمستطاعي أن أكون سعيداً من دونها. وبمقدار ما كان إيماني بالله يزداد، بمقدار ما كـانت تـزداد حـاجتي إلى الصلاة؛ فالحياة من دونها تبدو غبية وفارغة.

***

على الرغم من اليأس الـذي يتملكـني حين أرنو إلى الأفق السياسـي، لم أفقد يومـاً سَـكينتي. في الواقـع، وجـدت أناسـاً يحسـدونني على هـذه السـكينة. وهـذه السـكينة - أقـول لكم - جـاءت من الصـلاة. فأنا لست رجل علم لكن بوسـعي أن أدّعي - بكل تواضع - أني رجل صـلاة. لا يهمـني الشـكل؛ فلكل شـخص قانونه الـداخلي الخـاص، لكن هنـاك طرائق واضـحة وجليّة المعالم، وبالإمكان السير على الدروب المطروقة التي سار عليها المعلمون القدماء.

***

إن طلبت العــون منــه، فســتتوجّه إليه وأنت عــارٍ بالكامل، وتقاربه دونما تحفّظٍ أو خـوفٍ أو شـكّ، بحيث يكــون بوســعه مســاعدة كــائن ســاقط مثلــك. هل سيسـاعدك هـذا الـذي سـاعد الملايين ممَّن تضـرّعوا إليـه؟ إنه لا يمـايز بين النـاس، وستكتشف بنفسك أن إحـدى صـلواتك سـوف تُسـتجاب. أقـول لكم هـذا من منطلق تجربــتي الذاتيــة؛ فقد عــبرت المَطْهَــر. اطلب ملكوت السماء أولاً، وستحصل من ثمّ على كل شيء.

(الهند الفتاة، 4-4-1929، ص111)

***

الأفضل، حين تصلي، أن يكون لديك قلب بلا كلمـات من أن تكون لديك كلمات بلا قلب.

(الهند الفتاة، 23-1-1930، ص25)

***

الصلاة هي الدرس الأول والأخير لتعلّم فنّ التضـحية بالــذات، النبيل والشــجاع، في كل دروب الحيــاة، تلك الـدروب الـتي تبلغ ذروتها حين تـدافع عن حرية وطنك وشرفه. والصلاة بلا شك، تفترض إيماناً حياً بالله.

(هاريجان، 14-4-1946، ص80)

***

هناك الكثـيرون ممّن، سـواء بسـبب كسل ذهـني أو لأنهم اكتسـبوا عـادة سـيئة، يعتقـدون أن الله موجـود، وأنه سيساعدنا دون أن نطلب منه ذلك؛ فلماذا يتوجب علينا إذاً أن نــردد اســمه؟ صــحيح أنّ الله إذا كــان موجــوداً، فهو موجــود بصــرف النظر عمّا نعتقــد. لكن تحقق الله أكــبر بما لا يقــاس من مجــرد الإيمــان، لأنه ثمرة تـدريب مسـتمر. هـذا يصـحّ على كل العلـوم فما بالكم بما له علاقة بعلم العلوم.

(هاريجان، 28-4-1946، ص109)

***

الصلاة... ليست حصرية؛ فهي لا تقتصر على طائفتنا أو مجموعتنا، بل تشمل الجميع، بل تشمل الإنسانية جمعاء. أي إنّ تحقيقها يعني تحقيق مملكة السماء على هذه الأرض.

(هاريجان، 28-4-1946؛ ص111)

***

يصلّي بصدق من يعتقد أن الله كامنٌ في قلبه، ومن لا يعتقد بهذا لا يحتاج إلى الصلاة. الله لن يستاء لهذا السبب، لكن ما بوسعي أن أقوله، من منطلق تجربتي الذاتية: من لا يصلي خاسر بالتأكيد.

***

علمتني التجربة أن الصمت جزء من المنظومة الروحية لمن نذر نفسه للحقيقة؛ فالميل إلى المبالغة وإلغاء الحقيقة أو تحويرها، سواء عن معرفة أو من دون معرفة، نقطة ضعف طبيعية لدى الإنسان، والصمت ضروري لتجاوزها. لذا، يندر أن يكون الإنسان القليل
الكلام قاسياً في كلامه، لأنه سيَزِنُ كل كلمة يقول.

(سيرة ذاتية أو قصة تجاربي مع الحقيقة، ص45)

***

يستجيب الله للصلاة على طريقته، لا على طريقتنا. وطرائقه تختلف عن طرائق الفانين، كما أنها غامضة. الصلاة تتطلب الإيمان، وما من صلاةٍ لا جدوى لها لأنها، كغيرها من الأعمال، تعطي ثمارها سواء رأينا ذلك أم لم نره، وثمرة الصلاة التي من القلب أكثر فعالية بكثير من ذاك الذي ندعوه: عملاً!

(هاريجان، 29-6-1946، ص215)

***

هندوسيتي ليست حصرية

ما من شـــيء في العـــالم يمنعـــني عن التبشـــير بالمسـيحية أو بـأي دين آخـر، في اللحظة الـتي أشـعر فيها بالحقيقــة، وبالحاجة إليهــا. لا وجــود للــدين حيث يوجد خوف... وإذا كان بوسعي تسمية نفسي - لنَقُـلْ - مسـيحياً أو مسـلماً وفق تفسـيري الخـاص للكتـاب المقدس أو للقرآن، لما ترددتُ في تسمية نفسي على هـذا النحـو. لأنه عندئذ تكـون الهندوسـية والمسـيحية والإسلام تعابير متماثلة لها نفس المعـنى. وأعتقد أنْ لا وجـود لهنـدوس أو مسـيحيين أو مسـلمين في العـالم الآخر، حيث سـتتمُّ محاسـبة الجميـع، ليس من منطلق مسمياتهم أو حِرَفهم بل على أساس أعمـالهم الـتي لا علاقة لها بما يعتقــدون. خلال وجودنا الأرضي ســتظلّ مثل هـذه التسـميات قائمــة، لـذا تـراني، من جهـتي، أُفضِّل الإبقـاء على التسـمية الـتي ورثتها من أجـدادي، طالما أنها لا تعيق نمـوي، ولا تمنعـني عن اسـتيعاب ما هو جيد في أي مكان آخر.

(الهند الفتاة، 2-7-1926، ص308)

***

لعل أبــرز مســاهمة للهندوســية في الثقافة الهندية وأكثرها تمـــيزاً هي عقيـــدة الأهيمســـا؛ فقد أعطت خصوصـيةً لتـاريخ هـذا البلد لأكـثر من ثلاثة آلاف سـنة، وما زالت إلى الآن قـــوة حية تـــؤثّر في حيـــاة ملايين الهنـود. فهي عقيـدة تتطـور، ومـازال على رسـالتها أن تنشر. لقد استوعى شـعبنا تعاليمها إلى حـدّ أنّ الثـورة المسلحة باتت شبه مستحيلة في الهند اليوم، والسبب في هــذا ليس لأننــا، كما قد يقــول البعض، شــعب من الضــعفاء، فالضــغط على الزنــاد وإطلاق النــار على شــخص لا يتطلب قــوة جســدية كبــيرة، وإنما يتطلب

إرادة شـيطانية فحسـب، بل السـبب هو أنّ مـأثور الآهيمسا ضرب جذوراً عميقة بين الناس.

(هاريجان، 24-3-1924، ص95)

***

رغم إعجـابي بالمسـيحية، لا يمكنـني التمـاهي مع أورثوذكسـيتها... في حين أنّ الهندوسـية الـتي أعرفها تتجاوب مع روحي تمامـاً، حيث أجد في البهاغافـاد_غيتا والأوبانيشاد عزاءً لا أجده حتى في خطبة الجبل. وهـذا ليس لأني لا أُقـدِّر المثـال المقـدَّم هنـاك؛ وليس لأن التعـاليم الثمينة المتضـمنة في خطبة الجبل لم تـترك أثراً عميقاً في نفسي، لكن علي أن أعترف... أنه حين تؤرقني الشكوك، وحين تُحدِّق الخيبة في وجهي، وحين لا أرى في الأفق ولو بارقة أمل واحـدة، أسـتدير نحو البهاغافاد_غيتـا، فأجد فقـرة تواسـيني؛ وحـتى إن كنت في حزن ساحق فإني سرعان ما أعـاود الابتسـام. لقد كـانت حيـاتي مليئة بـالأحزان، لكنها إذ لم تـترك أثـراً ظاهراً وعميقاً في نفسي، فالفضل في ذلك يعـود إلى تعاليم البهاغافاد-غيتا.

(الهند الفتاة، 6-8-1925، ص274)

***

هي وجهة نظـري المعتـادة أنّ الجـزء الأسـاس من تعاليم البوذا بـات الآن جـزءاً لا يتجـزأ من الهندوسـية. لأنه يستحيل على الهندوسية الهندية اليوم، العـودة إلى الخلف وعدم الأخذ بعين الاعتبار الإصـلاح الكبـير الـذي أدخله غوتاما على الهندوسـية. فمن خلال تضـحيته العظيمـة، ونكرانه الكبـير لذاتـه، والطهـارة الناصـعة لحياتـه، تـرك أثـراً لا ينكر على الهندوسـية الـتي تـدين بـدَيْنٍ عظيم لهـذا المعلم الكبـير... وما لم تسـتوعبه

الهندوســية فيما يعــرف اليــوم بالبوذية لم يكن جــزءاً أساساً من حياة البوذا وتعاليمه.

(الهند الفتاة، 24-11-1927، ص ص392 و393)

***

لا يمكن فصل الشــرائع الإلهية الأزلية وغــير القابلة للتغيير عن الله بحدّ ذاته. ورغم ذلك فإنه، بسـبب لغط كبـير نـاجم عن الاعتقـاد بـأن البـوذا قد كفر بالله ولم يؤمن إلاّ بالقانون الأخلاقي، حـدث ارتبـاك حـول الفهم الصحيح للكلمة العظيمة نيرڤانا. النيرڤانا لا تعــني البتة الفناء التام. لأنّ النيرفانا، وبمقــدار ما أتيح لي أن أفهم الواقع الأساس لحياة البـوذا، هي الانقــراض التـام لكل ما هو وضـــيع فينـــا، لكل ما هو فاسد ومفسد فينـــا. فالنيرڤانا ليست كمــوت القــبر الأســود، بل هي حيــاة سلام وحياة سعادة لروح واعية لــذاتها، ومدركة أنها قد وجدت مقامها في قلب الخالد الذي لا يموت...

وكان هذا عظيماً مثل المساهمة الكبرى التي قدمها البـوذا لإنسـانيتنا حين أعـاد الألوهة إلى مكانها الخالـد. ومن منظـوري المتواضـع، كـانت مسـاهمته الأكـبر من هذه أيضاً، هي صرامة نظرته لكل أشكال الحياة، مهما كانت متدنية.

(المرجع نفسه، ص393)

***

إني على قناعة تامة بأنّ أوروبا لا تعكس اليــوم روح الله ولا روح المســـــيحية، بل تعكس روح إبليس. وأن انتصارات الشـيطان تكـون أكـبر حين يظهر وهو ينطق باسم الله من بين شـــفتيه. فأوروبا اليـــوم مســـيحية بالاسم فقــط، وهي في الحقيقة تعبد مــامون. لـــ"أنه أسهل أن يـدخل الجمل في ثقب الإبـرة من أن يـدخل غـني ملكـوت السـموات." (مـتى:19-24) لأنه هكـذا

تكلم حقـاً يسـوع المسـيح. أمّا من يـدّعون أنهم أتباعه فيقيسون تقدمهم الأخلاقي بحسب ممتلكاتهم المادية.
(الهند الفتاة، 8-9-1920، ص ص2 و3)

***

ليس بوســـعي أن أحصر صـــفة الألوهية بيســـوع؛ فألوهيته كألوهية كريشنا أو راما أو محمد أو زارادشت. وأيضـاً، في المقابـل، لا أعتقد أن كل كلمة من الكتـاب المقـدس موحـاة من اللـه، كما لا أنظر كـذلك إلى كل كلمةٍ من الفيــدا أو القــرآن. فهــذه الكتب وحيٌّ ككل حتماً، لكني لا أتلمّس وحي الأشياء حين آخذها مجـزأة. والكتــاب المقــدس، بالنســبة لي، كتــاب دين كالغيتا والقرآن.
(هاريجان، 6-3-1937، ص25)

***

هناك الكثير من الجهالات والخرافات في الهند، لكن في الأعماق هنـاك ذلك الإيمـان بالله الـذي هو أسـاس الدين.
(هاريجان، 17-11-1946، ص405)

***

أنظر إلى الإسـلام كـدين سـلام تمامـاً كالمسـيحية والبوذية والهندوسية. لا شك في أنه توجد خلافــات من حيث الدرجة، لكن غاية هذه الديانات هي السلام.
(الهند الفتاة، 20-11-1946، ص405)

***

ما من شـيء في القـرآن يـبرّر اسـتخدام القـوة من أجل الهداية. هـذا ما يقوله الكتـاب المقـدس بأوضح ما يمكن: "لا إكـراه في الـدين". وتشـهد حيـاة الرسـول بمجملها على رفضه الإكـــراه في الـــدين. وعلى حد علمي، لا يوجد مسـلم أيّد الإكـراه يومـاً؛ فالإسـلام لن يبقى ديناً عالمياً

إذا اعتمد القوة لانتشاره.

(الهند الفتاة، 29-9-1921، ص307)

***

لقد قرأت القرآن أكثر من مـرة، فـديني يسـمح لي، ويلزمــني على، اســتيعاب كل ما هو خــير لــدى كافة ديانات الأرض.

(هاريجان، 28-10-1939، ص317)

***

في الدين والسياسة

أقــول إنّ العقل الإنســاني، أو المجتمع الإنســاني، ليس مقسّــماً إلى حجــيرات منعزلة تــدعى اجتماعية وسياسية ودينية؛ فكلها تفعل وتتفاعل مع بعضها بعضاً.

(الهند الفتاة، 2-3-1922، ص131)

***

شعرت بأني مجبر على ولــوج الحقل السياسي لأني وجدت أنْ ليس بوسعي القيام بأي عمل إجتماعي دون التعـرّض للسياسـة. وأشـعر أنه يجب النظر إلى العمل السياسي من منطلق التقـدم الاجتمـاعي والأخلاقي. لا يوجد في الديمقراطية حقل من حقــــول الحيــــاة لا تلامسه السياسة.

(هاريجان، 6-10-1946، ص341)

***

ليس بوسعي عـزل السياسة عن أعمق الأشـياء في حيـاتي، وذلك لســبب بسـيط هو أن سياســاتي ليست فاسدة، فهي مرتبطة بشكل وثيق باللاعنف وبالحقيقة.

(الهند الفتاة، 1-10-1931، ص281)

***

ليس الدين مقياساً للقوميــة، بل هو مســألة خاصة بين الإنســان وربــه. فمن مفهــوم القومية الهنــود هنــود أولاً وأخيراً، بغض النظر عن أديانهم.

(هاريجان، 29-6-1947، ص215)

***

في المعابد وعبادة الأصنام

نا لا أرفض التعبد لصنم؛ فالصنم لا يحرك في نفسي أي شعور بالمهابة، لكني أعتقد أن عبادة الأصـنام جـزء من الطبيعة البشرية. لماذا يتوجب أن يكون المرء أكثر هدوءاً في الكنيسة منه في أي مكان آخر؟ لأنّ الصــور تسـاعد على العبـادة. ما من هنـديٍّ يعتقد أن الصـورة إله، لذا لا أعتبر التعبد لصنم خطيئة.

(الهند الفتاة، 6-10-1921، ص318)

***

أنا مؤيد ومعـارض معـاً للتعبد للصـور؛ فحين يتحـول التعبّد أمام الصور إلى وثنية، ويصـبح مغلفـاً بمعتقـدات وعقائد خاطئــة، ويصــبح من الضــروري محاربته كشــرّ اجتماعي كبير أعارضه. لكن من جانب آخر، فإن التعبّد أمـام الصـور من منظـور إعطـاء المثـال الأعلى شـكلاً ملموساً هو شــيء متأصل في الطبيعة الإنســانية، وهو حــتى مسـاعد فعّـال لفعل التقـوى. ونحن نتعبد أمــام صورة حين نقدّم الاحترام لكتاب نعتبره مقدساً. ونتعبد أمام صـورة حين نـزور معبـداً أو جامعـاً ويملأنا شـعور بالورع والتبجيل. ولستُ لا أرى ضرراً في كل هذا بــل، بالعكس، كإنسان محـدود الفهم، ليس بوسـعي القيـام بشيء آخر. وأيضـاً، لسـتُ لا أرى أيَّ شـرٍّ أو ضـرر في التعبد لشجرة، وأراه شيئاً غريزيـاً عميق التعـاطف وذا شـاعرية جميلـة، حيث يرمز إلى إجلال حقيقي لمملكة النبات برمّتها، تلك التي من خلال ما تقدّمه من مشــهد لامتنــاه وجميل في أشــكاله وتكويناتــه، يعلن أمامنــا، بملايين الألسن، عظمة ومجد الإله...

(الهند الفتاة، 26-9-1929، ص320)

***

أنا لا أنظر إلى وجـــــود المعابد على أنّه خطيئة أو خرافــة؛ فبعض الأشــكال والأمكنة العامة للتعبد تبــدو ضـرورة إنسـانية. وسـواء احتـوت المعابد أم لم تحتـوِ على صـور فهـذه قضـية ذوق ومـزاج. فأنا لا أنظر إلى أمــاكن التعبد الهندوســية أو الكاثوليكية الــتي تحتــوي صـوراً بأنها سـيئة أو تخريفية وللجوامع وأمـاكن التعبد البروتيستانتية على أنها جيدة وغير تخريفية لمجـرد أنها لا تحتـوي صـوراً. فبوسع رمز كالصـليب أو الكتـاب أن يتحول بسهولة إلى وثنية، وبالتـالي أن يصـبح تخريفيـاً. كما أن التعبّد أمـام صـورة الطفل كريشـنا أو العـذراء مريم يمكن أن يكـون يسـمو بـالعواطف النبيلة ويحـرر من كل خرافـــة؛ فكل شـــيء يعتمد على موقف قلب المتعبد.

(الهند الفتاة، 5-11-1925، ص378)

***

معابد أم جوامع أم كنائس... لا فرق عندي بين هــذه الأمــاكن المختلفة لعبــادة اللــه. إنها نتيجة ما صــنعه الإيمان، واستجابة لحنين الإنسـان للوصـول بطريقة ما إلى من لا يرى.

(هاريجان، 18-3-1933، ص6)

***

أجسادنا هي المعابد، وليس الأبنية الجحريـة. وأفضل مكان للعبادة الجماعية يكون في الفلاء مع السماء من فوقنا كمظلة وأمنا الأرض من تحتنا كمرتكز.

(هاريجان، 4-1-1948، ص498)

***

لعنة المنبوذين

لقد تجــذّرت الفروقــات الطبقية بيننا إلى حــدّ أنها أصابت بعدواها المسلمين والمسـيحيين وأتبـاع ديانـات

الهند الأخــرى. الحــواجز الطبقية يمكن أن توجد بهــذا الشكل أو ذاك في أمـاكن أخـرى من العـالم، ما يعـني أنها مصــدر إزعــاج مشــترك للجنس البشــري كلــه. وإلغاؤها ممكن فقط عن طريق غــرس الــدين الحــق. لأني لم أجد قوانين تشرّع لمثل تلك الحواجز والفوارق في كتب أي دين. فمن منظـــــور الـــــدين كل البشر متساوين، والتعلم والذكاء والغـنى لا تعطي المـرء حق إعلان تفوقه على أولئك الـذين يفتقـدون لما يملك من هـذه المزايـا. فـإذا جُبِل أيّ شـخص وكُـرِّس من خلال الجوهر المُطهِّر ومنظومة الدين الحق، فإنّه سـيرى أنّ من واجبه أن يتشـــارك في امتيازاته مع أولئك الـــذين يملكون أقلّ منه. وهكـذا، في ظروفنا الحاليـة، يتطلب الدين الحق منّا أن نتحول إلى منبـوذين (أتيشـودراس) طوعاً.

علينا النظر إلى أنفســنا ليس كمُلاّك بل كمؤتمــنين على ثروتنـا، وأن نسـتعمالها لصـالح المجتمـع، فلا نأخذ منها ما هو أكثر من أجر عادل للخدمة التي نؤديها. في نظام كهـذا لن يبقى هنـاك فقـير وغـني، وسـتكون كل الديانات متساوية، وسـتكفّ كل النزاعـات الناجمة عن الـدين والطبقة والفـارق الاقتصـادي عن تهديد السـلم في العالم.

(الهندي، 19-9-1945)

***

تــزوَّجتُ العمل على إلغــاء "وضع المنبــوذين" قبل وقت طويل من أن أكلَّل بزوجــتي. وقد كــانت هنــاك مناسـبتان في حياتنا المشـتركة كـان علي فيها الخيـار بين العمل من أجل المنبوذين والبقاء مع زوجتي وكنت ربما سأفضل الخيار الأول، لكن بفضل زوجتي الجيـدة، تم تلافي المشـكلة. في الأشــرام (مســتعمرة ســكنية

جماعية) الذي هو عائلتي، هنـاك العديد من المنبـوذين، وهناك فتاة جميلة ومشاكسة تعيش معنا وكأنها ابنتي.
(الهند الفتاة، 5-11-1931، ص341)

جلب حبّ النـــاس مشـــكلة المنبـــوذين مبكِّراً إلى حيـاتي. مـرّةً قـالت لي أمي: "عليك أن لا تلمس هـذا الصـبي لأنه منبـوذ." فسـألتها: "لم لا؟" وكـان هـذا هو اليوم الذي بدأت فيه ثورتي.
(هاريجان، 25-12-1938، ص393)

***

الفصل الخامس

في اللاعنف

من إنجيل اللاعنف

لست صاحب رؤيا. وما بوسعي أن أقوله عن نفسي هو أني شـخص مثـالي عملي. الـذين يقصـدهم دين اللاعنف ليسـوا القديسـين أو الريشي بل عامة النـاس أيضـاً؛ فـاللاعنف شـريعة جنسـنا بينما العنف شـريعة البهائم، وشريعة الروح الغافية في قلب العنيف الذي لا يعـرف سـوى قـانون القـدرة الجسـدية. لكن كرامة الإنسان تتطلب الطاعة لقانون أسمى هو قوة الروح... لـذلك أنا أعتقد أن الريشي الـذين، من قلب العنـف، اكتشفوا اللاعنف كانوا أكثر نبوغاً من نيوتن. لقد كـانوا يعرفون كيف يستعملون السلاح، وخبروا عـدم جـدواه، وعلّمـوا عالمـاً يطمح إلى السـلام أن طريق خلاصه ليس العنف بل اللاعنف.

(الهند الفتاة، 11-8-1920، ص3)

***

تعلمت درس اللاعنف من زوجـتي، وذلك حين حـاولت إخضـاعها لإرادتي. إلاّ أن مقاومها الحازمة لرغبتي من جهة، وخضوعها الهادىء للألم الذي تسـبب به غبـائي من جهة أخـرى، جعلـني أخجل جـداً من نفسي، وشفاني من غباء الاعتقاد بأني خلقت لأحكمها. وفي نهاية الأمر أصبحت هي معلمتي في اللاعنف.

(هاريجان، 24-12-1938، ص394)

***

اللاعنف هو شـريعة الجنس البشـري. وهو أكـبر وأسمى بما لا يقاس من شريعة القوة الغاشـمة. وفي نهاية المطـاف، هو لا يليق بأولئك الـذين لا يملكـون إيماناً حياً بألوهية المحبة.

يــؤمِّن اللاعنف حماية كاملة لاحــترام المــرء ذاتَــه، ويعطيه شـعوراً بالكرامـة، وإن ليس دائمـاً فيما يتعلق بملكية الأرض أو بالملكية المنقولـــــــة، لكن التجربة العملية تقـول إنّ اللاعنف يـؤمّن درعـاً أفضل لحمايتها مما يؤمّنه رجال مسلحون. اللاعنف هو الطبيعة الفعلية للأشـياء، وإن كـان لا يفيد في الـدفاع عن المكتسـبات غير المشروعة، والأفعال غير الأخلاقية. لــذا يجب على الأفــراد أو الأمم الــذين يطبقــون اللاعنف أن يكونــوا مستعدين للتضحية بكل شيء (حتى آخر رجل بالنســبة للأمم) ما عدا التضحية بشرفهم.

واللاعنف قوة يمكن أن يستخدمها الأطفال والشباب والنســاء والبــالغين، شــريطة أن يمتلكــوا إيمانــاً حيــاً بألوهة المحبة، وحباً متسـاوياً للجنس البشـري. لـذلك، عندما نقبل باللاعنف كقـانون للحيـاة فمن الـواجب أن يشمل (هذا القانون) الكائن بكليته، لا أن يكـون مجـرد أفعالاً منعزلة. ومن الخطأ الكبير الاعتقاد بـأنّ القـانون يصحُّ على
الأفراد، ولا يصحُّ على الجنس البشري ككل.

(هاريجان، 5-9-1936، ص236)

***

وحــده اللاعنف قــانوني. فــالعنف ليس بوســعه أن يكون قانونياً بالمعنى الذي أقصده هنا. أي بتعبير آخــر، ليس بوسع العنف أن يكون قانونياً وفقاً لقانون وضـعه الإنسان بل وفق القانون الذي صنعته الطبيعة للإنسان.

(هاريجان، 27-10-1946، ص369)

***

فعل اللاعنف ليس مســــاوياً، في الحقيقـــــة، لفعل العنـــــف، بل يفعل فعله بطريقة عكســــية. إذ يعتمد الشـخص المسـلح عـادة على سـلاحه، أمّا من يـرفض

السلاح عن قصد فإنه يستند إلى تلك القوة غير المرئية التي يدعوها الشعراء الألوهة، ويسمّيها العلماء "القوة المجهولة". لكن كون تلك القوة مجهولة لا يعني أنها غير موجودة؛ فالألوهة هي أساس كل القوى المعروفة منها والمجهولة. واللاعنف الذي لا يستمد قوته من الألوهة فقير ويجب إلقاءه للتراب.

(هاريجان، 28-6-1942، ص201)

***

الدعوة إلى اللاعنف موجودة لدى كلِّ الديانات، لكني أعتقد باعتزاز أن الهند - ربما - هي التي، من خلال تجربتها، حوّلت هذه الدعوة إلى علم. لقد ضحّى عدد لا يحصى من القديسين بحياتهم في التكفير عن خططاياهم (تاباشرايا بالسنسكريتية) حتى أحسّ الشعراء أن بوسع جبال الهيملايا ببياضها الناصع أن تطّهر من خلال تلك التضحيات. لكن كل ممارسة اللاعنف تلك أضحت شبه منسية اليوم، لذا من الضروري إعادة إحياء القانون الأزلي الذي يردّ على الغضب بالحب، وعلى العنف باللاعنف؛ ففي أرض أفضل من هذه التي هي أرض جاناكا وراماشاندرا، يمكن أن يُطبَّق هذا القانون؟

(هاريجان، 30-3-1947، ص86)

***

يقول لي بعض أصدقائي المسلمين إنهم لن يقبلوا البتة المفهوم المطلق للاعنف. فبالنسبة لهم، على حدِّ زعمهم، للاعنف نفس مشروعية العنف، واستعمال كليهما يخضع للظروف، ما يعني أن كليهما لا يحتاج إلى فنوى لتبرير مشروعيتهما، وأنّ هذا درب معروف مرت به الإنسانية على مر العصور. لكني سمعت من العديد من أصدقائي المسلمين أن القرآن يبشر باللاعنف؛

فهو يعتبر الصبر أسمى من الانتقام، وكلمة إسـلام بحد ذاتها تعني السلام الذي هو اللاعنف. بادشاه خان، الذي هو مســلم عن قناعة ولم يفــرّط يومــاً لا بصــلاة ولا بصيام، قَبِل باللاعنف عقيدةً. وليست حجةً أن نقول إن حياته لم تكن على مستوى ما آمن بـه، حـتى وإني - يا لخجلتي - لم أفعل مثله في حياتي. والحجة التي تقـول بأنّ اللاعنف، بالنسبة للقرآن، هو قضـية تأويـل، لسـتُ بحاجةٍ إليها في دعوتي.

(هاريجان، 7-10-1939، ص296)

يتجاوز حبي للاعنف حـبي لأي شـيء آخر دنيـوي، أو يتجاوز هذه الـدنيا، لأنه يعـادل حـبي للحقيقة الـتي هي بالنسـبة لي رديـفُ اللاعنف الـذي بوسـعي عن طريقه فقط بلوغ الحقيقة.

(الهند الفتاة، 20-2-1930، ص61)

***

إذا كـان المـرء ... متفـاخراً وأنانيـاً، فليس بوسـعه (ممارســة) اللاعنــف. فــاللاعنف مســتحيل من دون تواضــع. لقد علمتــني تجربــتي الذاتيــة، أني حين كنت أتصـرف بشـكل لاعنفي، كـان منطلقي وسـندي دوافع أسمى مستمدّة من قوة غـير مرئيـة، لأنه لو كـان علي الاعتماد فقط على إرادتي الذاتية لفشلت بشكل ذريع. عندما كان علي الذهاب إلى السجن للمرة الأولى كنت أرتجف من هـذا الاحتمـال؛ فقد سـمعت أشـياءَ مرعبة عن حياة السجن. لكني كنت أؤمن بالعناية الإلهية. وقد علمتنا تجربتنا أنّ الذين يذهبون إلى السـجن بـروح من الورع يخرجون منتصرين، في حين يفشل أولئك الـذين يعتمـدون على قـوتهم الذاتيـة. ولا مجـال هنا للشـفقة على الذات، حتى وإن كنت تقول ان الله يعطينا القوة؛

فالإشفاق على الذات يـأتي حين تفعل شـيئاً تنتظر من أجله اعترافاً من الآخرين. وهنا لا مكان لاعترافٍ كهذا.
(هاريجان، 28-1-1939، ص442)

***

قوة اللاعنف

أقرُّ بأنَّ القوي يسرق الضعيف، وأن من الجريمة أن نكــون ضــعفاء. لكن هــذا ينطبق على روح الإنســان، وليس على جســده، لأنه لو كــان المقصــود هو الجسد لما كــان بوســعنا أبــداً التخلص من خطيئة أن نكــون ضـعفاء، أمّا قــوة الــروح فبوســعها أن تتحــدى عالمــاً مـدججاً بالسـلاح بكاملـه. وهـذه القـوة متاحة لأضـعف الخلق أجساداً.
(الهند الفتاة، 6-5-1926، ص164)

***

اللاعنف هو أكبر قــوة في متنــاول الجنس البشــري. إنه أقوى من أقوى سلاح تدمير اخترعه البشر. فالدمار ليس قــانون البشــر. والإنســان يحيا حــرّاً ومســتعداً للموت حتى على يد شقيقه، إن اقتضت الحاجة، ولكنه ليس مســـتعداً البتة أن يقتله هـــو. لأن أي قتل أو أي ضــرر يــرتكب بحق الآخر أو يمــارس عليــه، مهما كــان سببه، جريمة بحق الإنسانية.
(هاريجان، 20-7-1935، ص ص180 و181)

***

أقسى المعـــادن يلين حين يتعـــرّض لما يكفي من الحرارة. ولكن أقسى القلوب يـذوب حـتى قبل تعرّضه لما يكفي من حــرارة اللاعنـف. ولا حد لقـدرة اللاعنف على توليد الحرارة.

كل فعل هو محصلة قوى عديدة، والتي يمكن أن تكون مختلفة في طبيعتها. لا ضياعَ للطاقة؛ فهذا ما علمتنا إياه كتب الميكانيك. وهذا ينطبق أيضاً على الأفعال الإنسانية، مع ذاك الفرق الذي يقول بأنه إذا كان بوسعنا بشكل عام معرفة القوى (الفيزيائية) الفاعلة نستطيع، حينئذٍ، التنبؤ رياضياً بالمحصلة. إذ في حال الأفعال الإنسانية، الناجمة عن تضارب قوى لا علم لنا بها ليس بوسعنا ذلك. لكنّ جهلنا هذا يجب أن لا يقودنا إلى فقدان الإيمان بمقدرة هذه القوى بل يجب أن يدفعنا إلى المزيد من الإيمان. واللاعنف بحكم كونه أقوى قوة في العالم، وأكثرها مراوغة في فعلها، يتطلب أكبر تدرب على الإيمان. فكما نؤمن بالله، يجب علينا الإيمان باللاعنف.

(هاريجان، 7-1-1939، ص417)

***

اللاعنف وحده يستطيع مواجهة العنف بفعالية. هذه حقيقة قديمة ومثبتة... إن سلاح العنف، حتى وإن كان قنبلةً ذرية، يصبح بلا فائدة حين يصطدم باللاعنف. صحيح أن القليلين فقط يعرفون كيفية تطويع هذه القوة لأنها تتطلب الكثير من الفهم ومن الذكاء؛ فهي ليست ما تتطلبه المدارس العسكرية والمعاهد. والصعوبة التي يجدها المرء حين يجمع ما بين الهيمسا والآهيمسا مردّه قلّة الذكاء.

(هاريجان، 1-6-1947، ص172)

***

"إكره الخطيئة لكن لا تكره الخاطىء" – هذا كلام مفهوم، وعلى الرغم من سهولة فهمه نادراً ما يطبق. لهذا السبب ينتشر سُمُّ الحقد في عالمنا.

الأهيمسا هي أســاس البحث عن الحقيقــة. ويــزداد يقيني كل يوم من عـدم جـدوى هـذا البحث ما لم تكن الأهيمسا قاعدتــه، لأنه إن كـان صـحيحاً جـداً مقاومة ومهاجمة نظام، فإن مقاومة ومهاجمة صـاحبه يسـاوي مقاومة الـــذات ومهاجمتهـــا. فجميعنا رســـمتنا نفس الفرشـــاة، وجميعنا أبنـــاء نفس الخـــالق، ما يعــني أن القوى الإلهية الـتي في داخلنا لامتناهيـة. والاسـتخفاف بكـائن بشـري واحد يعـادل الاسـتخفاف بهـذه القـوى الإلهيــة، ويعــني بالتــالي الإســاءة ليس فقط إلى هــذا الكائن إنما إلى العالم بأسره.

(سيرة ذاتية أو قصة تجاربي مع الحقيقة، ص203)

***

التدرُّب على اللاعنف

«كيف يجب علينا تـدريب الأفـراد والمجتمعـات على هذا الفنّ الصعب؟»

لا يوجد هنا طريق ملكي، ســوى أن نعيش عقيـــدتنا في هذه الحيـاة كالقسم الحي. وطبعـاً، يتطلب التعبـير عن هـــــذا الأمر في حياتنا الخاصـــــة، دراسة معمقة ومثابرة جبارة، وتطهير أنفسنا من كل الشـوائب. فكما إن تملّك العلوم الفيزيائية يتطلّب أن تكـرس لها حياتك بالكامـل، فـإن حيـوات كثـيرة سـيتطلبها تملّك أقـوى القوى التي عرفها البشر. لكن، لماذا علينا أن نقلق إن كان هذا قد سيتطلب عدة حيوات؟ لأنه إن كان هذا هو الشيء الوحيد الدائم في هذه الحيـاة، إن كـان هـذا هو الشيء الوحيد الذي له معـنى، عنـدها سـيكون أي جهد تبذله استثماراً جيـداً. فـاطلب ملكـوت السـموات أولاً وكل ما تبقى ســـيأتيك بشـــكل طـــبيعي. وملكـــوت السموات هي الآهيمسا.

(هاريجان، 14-3-1936، ص39)

***

لا يتطلب اللاعنف أي تدريب خارجي أو جسدي، إنما يتطلب فقط الإرادة بعدم القتل حتى من باب المعاملة بالمثــل، والشــجاعة في مواجهة المــوت من دون أية رغبة بالانتقام. وهـذا ليس قسـماً للأهيمسا إنما مجـرد منطق عقلي بارد وتطـبيق لقـانون كـوني. لـذلك، ومن منطلق الإيمان الــذي لا ينطفىء بهــذا القــانون، علينا التدرب على مواجهة أي استفزاز مهما كان كبيراً - هذا ما أسمّيه لاعنف الشجعان.

(هاريجان، 8-9-1946، ص296)

***

كيف يطبّق اللاعنف

إنّك تخطىء جـــــداً إذا لم تتـــــدرب على ممارسة اللاعنف في علاقاتك الشخصـــية مع الآخـــرين، وترجو فقط استخدامه في القضـايا الكـبرى. فـاللاعنف يشـبه الرحمة التي يجب أن تبدأ من المنزل.

لكن، إذا كـــان من واجب المـــرء أن يتـــدرب على اللاعنـف؛ فـإن من الـواجب بـالأحرى أن تتـدرب عليه الأمم. فــالمرء ليس بوســعه أن يكــون لاعنفيــاً فقط ضمن نطاق حلقته الخاصـة، وعنيفـاً خارجهـا. وإلاّ فإنه ليس لاعنفياً حقيقياً حتى ضـمن إطـار حلقته الخاصـة؛ فغالباً ما يكون اللاعنف مجـرّد مظهـر. لأنك فقط حين تلقى مقاومـة، على سـبيل المثـال، حين يقتحم لص أو مجرم حياتك، يصـبح لاعنفك على المحـك. فقد تحـاول أو قد تقوم بمواجهة اللص بنفس أسلحته، أو قد تحاول نزع سـلاحه عن طريق المحبـة. لـذلك، إن كنت تعيش فقط بين أنـاس محـترمين، فـإن سـلوكك لا يمكن أن يوصف باللاعنفي.

كذلك لا يعتبر التحمّل المتبادل بين الأشخاص لاعنفاً. وسرعان ما ستتوصل إلى قناعة أن اللاعنف هو قـانون الحياة، وأن عليك تطبيقه على الأمم كما على الأفــراد. هنا يكــون التــدريب مهمــاً بلا شــك، وتكــون البــدايات صغيرة دوماً، لكن حين تتوفر القناعة فــإن كل ما تبقى سيصبح محصلة حاصل.

(هاريجان، 28-1-1939، ص ص441 و442)

***

مارست اللاعنف وإمكاناته بدقّة علمية ما يزيد على خمسين عامــاً من حيــاتي. لقد طبقته في كل مجــالات الحيــاة، عائليــاً ومؤسســاتياً واقتصــادياً وسياســياً. ولا أتذكر حالة فشل واحــدة فيهــا. وحين بــدا لي في بعض الحــالات وكأنه فشــل؛ فــإن الســبب في ذلك كــانت نواقصي. لستُ أدّعي الكمال لنفسـي، لكـني أؤكد أني أبحث بشـــــغف عن الحقيقة الــــتي هي الاسم الآخر للألوهة. وخلال بحثي هذا اكتشفت اللاعنف الذي أصبح نشره بالنسبة لي رسالتي في هذه الحياة، ولا مصــلحة لي
أن أســتمر في هــذه الحيــاة إن لم يكن من أجل هــذه الرسالة.

(هاريجان، 6-7-1940، ص ص185 و186)

***

في المجتمع اللاعنفي

ليس بوسع اللاعنـف، من حيث طبيعتـه، "الاسـتيلاء" على السلطة، ولا يمكن أن تكون هـذه هي غايتـه، لكن بوسع اللاعنف أن يفعل ما هو أكثر من هذا. بوسعه أن يشرف ويراقب السلطة بفعالية دون أن يسـتولي على أجهزة الحكم. وهذا أجمل ما فيه.

يوجد طبعاً استثناء لما أقول. حين يكون عدم تعاون الشـعب اللاعنفي كـاملاً إلى درجة تتوقف فيها الإدارة عن العمل، أو حين تنهار الإدارة بسبب غزو أجنـبي وما يتبعه من فراغ؛ فإنّ بوسع ممثلي الشـعب أن يتقـدموا لملء هذا الفراغ. هذا أمر ممكن نظرياً.

لكنّ ممارسة السلطة لا يجعل العنف إلزامياً. فالأب يمارس سلطته على أبنائه، وبوسـعه حـتى أن يعـاقبهم لكن دون أن يستخدم العنف. فالممارسة الأكـثر فعالية للسلطة هي تلك الـتي تتضـمن أقل قـدر من الإزعـاج. والســلطة حين تمــارس بشــكل جيد يجب أن تكــون لطيفة كالوردة، وأن لا يشعر بها أحد.

يقبل الشعب سلطة (حـزب) المـؤتمر بملء إرادتـه، وقد خُوِّلتُ أكثر من مـرة سـلطات ديكتاتورية مطلقـة، لكنّ الكــلّ يعلم أنّ ســلطتي إنما كــانت تســتند إلى قبولهم، وأنّ بوسعهم إزاحتي في اللحظة التي يشـاؤون، وأنّي في مثل هـذه الحـال سـأتنحّى دون أن أنبس بكلمة.

يولد الأنبيـاء والرجـال الخـارقون مـرّة في الـزمن، ولكن إذا حقق فـرد واحد مبـدأ الأهيمسا بكليتـه، فـإن بوســعه أن يشــمل ويفتــدي المجتمع بأســره. فحين ارتقى يسوع إلى الســماء، تمكّن أتباعه الاثنا عشر من متابعة رسالته من دونه.

لقد اقتضى الأمر مثابرة وعبقرية أجيال من العلمــاء لاكتشاف قوانين الكهربـاء، أما اليـوم فقد أصـبح حـتى الأطفــال يســتخدمون الكهربــاء في حيــاتهم اليوميــة. كذلك الأمـر، ليست هنـاك حاجة دائمة لشـخص مثـالي من أجل إدارة دولة مثالية حين تواجدها. ما نحن بحاجة إليه يبدأ بمجرد تحقق يقظة إجتماعية، والباقي سيتبع.

لنأخذ مثالاً أقرب إلينـا، حيث قُـدِّمت للطبقة العاملة حقيقة أن رأس المــــال الحقيقي ليس من الفضة ولا من الذهب، إنما هو جهد أيديهم وأرجلهم وعقــولهم. ما يعني أنه حين يطور العمل وعياً كهـذا، فلن تبقى حاجة لوجــودي كي يصــبح النــاس قــادرين على اســتخدام السلطة الناجمة عنه.

(نحو آفاق جديدة، ص ص91-93)

***

في الدولة اللاعنفية

لقد أصبحت مقتنعاً تماماً بـأنّ الدولـة، إن هي ألغت الرأســمالية عن طريق العنــف، ستصــبح أســيرة ذلك العنف، وستفشل دائمـاً في تطـوير حالة من اللاعنـف. فالدولة تمثل العنف بشكله المركز والمنظم، ولمّا كان للإنســـان روح، بينما الدولة آلة لا روح لهـــا، فإنه ليس من الممكن أبــداً تجريــدها من العنف الــذي هو مــبرر وجودها. من هذا المنظور تراني أُفضِّل عقيدة الوصاية. ويبقى الخـــوف دائمـــاً من أنّ بوسع الدولة اســـتخدام الكثير من العنف تجاه الذين يخالفونهـا، لـذلك سـأكون سعيداً جداً لو كـان بوسع النـاس التصـرف كمؤتمـنين. وإن فشــــلوا في ذلــــك، فـــإني أعتقد أنّ على الدولة تجريدهم من ممتلكـاتهم بأقل قــدر ممكن من العنـف. لهــذا قلت في مــؤتمر المائــدة المســتديرة إنّه يجب تقصّــــي كل فائــــدة منوطة بعنايــــة، وأنه يجب الأمر بالمصادرة حين تقتضي الضروة ذلك، مع أو بلا تعويض، حسب الحالة.

وما أفضله شخصياً ليس تركيز السـلطة بيد الدولـة، بل توسيع الإحساس بالمشاركة. لأنّ عنف المؤسسات الخاصة، من وجهة نظري، أقل ضرراً من عنف الدولة.

وفي كل الأحـوال، إن لم يكن هنـاك منـاص من الأمـر، فإني أؤيد حدّاً أدنى من ملكية الدولة.

وبينما أقبل أن الإنســـان يعيش حاليـــاً من منطلق عاداتــــه، فــــإني أعتقد أنّ من الأفضل له أن يعيش ممارسـاً إرادتـه. وأعتقد أيضـاً أن بوسع البشر تطـوير إرادتهم بحيث يحدّون من الاستغلال إلى الحدّ الأقصى. وأنا أنظر بمنتهى الخـوف إلى زيـادة سـلطة الدولـة، لأنهـا، وإن بـدا أنها تفعل خـيراً من خلال التخفيف من الاستغلال، تلحق أكبر الضرر حين تُدمِّر الفردانية، التي هي جذر كل تقدم.

إننا نعـرف حـالات كثـيرة تبنَّت الدولة فيها الوصـاية، ولكننا لا نعـــرف حالة واحـــدة كـــانت الدولة فيها فعلاً لصالح الفقير.

(المجلة الحديثة، أوكتوبر 1935، ص412)

***

العنف والإرهاب

علمتـني تجربـتي أنّ نشر الحقيقة غـير الممكن عن طريق العنف. لذلك فإن الذين يؤمنون بعدالة قضـيتهم بحاجة لأن يتمتعـــوا بصـــبر غـــير محـــدود. فوحـــدهم المخـــوَّلين للقيـــام بعصـــيان مـــدني هم أولئك الـــذين يترفَّعون عن ارتكاب عصيان إجــرامي، أو عن ممارسة العنف.

(الهند الفتاة، 28-4-1920، ص8)

***

أنا أعارض العنف لأنه، حيث يبـدو وكأنه يفعل خـيراً، فـإن ما يفعله من خـير هو مـؤقت فقـط؛ أما ما يفعله من شر فهو دائم.

(الهند الفتاة، 21-5-1925، ص178)

***

أنا لا أؤمن بـالثورات المسـلحة لأنها علاج أسـوأ من ذلك المـرض الـتي تعتقد أنها تداويـه، ولأنها نتـاج روح الثأر والتسرّع والغضب. وهذا يعـني إنّ طريق العنف لا يمكن أن يكون جيداً على المدى الطويل.

(الهند الفتاة، 9-6-1920، ص3)

***

... المــــوت الإرادي جوعــــاً ببطء وبلا تمجيد بين الجماهير الجائعة هو دائماً أكثر بطولة من الموت على المتراس في ظلّ تصعيدٍ عاطفيّ كاذب.

(الهند الفتاة، 12-2-1925، ص60)

***

أنا أكره الجبن سواء أكان فلسفياً أم اتخذ أي شـكل آخر. ولو كان بوسعي الاقتناع بأن النشاط الثوري يبـدّد الجبن، لأدى هـذا إلى تخفيف كـرهي لطريقته إلى حد كبـير، رغم أني سـأبقى معارضـاً له من حيث المبـدأ. وفي كـلّ الأحـوال، لا أعتقد بـأي شـكل أن القتل أو الاغتيال أو الإرهاب شيء جيد، لكـني أعتقد أن الأفكـار تستوي حين تغذيها دمـاء الضـحايا. لكن الإنسـان الـذي يمـــوت ببطء من الحمى وسط الغابة يـــنزف حتمـــاً بمقدار ذلك الذي يشنق. وإذا لم يكن ذلك الذي يمـوت على المشنقة بريئاً من دم الآخر، فإنه لم يمتلك حتمـاً أفكاراً جديرة بأن تنضج.

***

صُـبِغت صـفحات التـاريخ بـاللون الأحمر لـدم أولئك الذين قاتلوا في سبيل الحرية؛ فأنا لا أعرف مثالاً نالت فيه الأمم حريتها من دون بـذل جهد كبـير لـذلك، حيث اسـتخدمت، حـتى تاريخه من أجل هـذا، سـكين القاتل وكأس السم ورصاصة القنـاص والحربة - وكل أسـلحة

وطرائق الـــدمار - من قبلال عشـــاق عميٍ للحرية و للتحرر... أنا لا أحمل أية
ضغينة تجاه الإرهابيين.
(الهند الفتاة، 24-12-1931، ص408)
***
لو كان علي أن أختار...
أعتقد أني لو خيّرت بين الجبن وبين العنف، لاخـترت العنـف... فأنا أُفضِّـل أن تلجأ الهند إلى السـلاح دفاعـاً عن شرفها على أن تبقى أو أن تكـون، بطريقة جبانـة، شاهدة على عارهـا. لكـني أعتقد أنّ اللاعنف أرقى من العنف بما لا يقـاس، وأنّ المغفـرة أكـثر رجولة من العقـاب. فـالمغفرة تـزين الجنـدي... والامتنـاع مغفـرة حين تمتلك المقـدرة على العقـاب؛ وبلا معـنى له حين يأتي من كـائن لا حـول لـه. ولا أعتقد أنّ الهند لا حـول لها... ولا أعتقد أني كذلك أيضاً... لأنّ القوة لا تأتي من المقدرة الجسدية بل من الإرادة التي لا تقهر.
(الهند الفتاة، 11-8-1920، ص3)
***
أريد أن يتعلم الهنـود والمسـلمون معـاً الشـجاعة الهادئة لأن نمـوت دون أن نَقتُـل. لكن، إن لم يمتلك المرء هذه الشجاعة، فإني أريده أن يتعلم فن أن يقتُل وأن يُقتـل، من أن يهـرب من الخطر كالجبـان، لأن الهارب، على الرغم من هربه، ارتكب الأذية في ذهنـه، فقد هـرب لأنه لم تكن لديه شـجاعة مواجهة المـوت أثناء القتال.
(الهند الفتاة، 20-10-1921، ص335)
***
ليس مهماً أن يكون المـرء ضـعيفاً في جسـده، لأنه إذا كـان من العـار أن يهـرب، فإنه سيتشـبث بأرضه ويموت في موقعه. وهـذا فعل لاعنف وشـجاعة. لا يهم

هنا أن يكــون جســمه ضــعيفاً لأنه سيســتخدم كل ما يملك من قــوة لإلحـاق الأذى بخصــمه، وسـيموت وهو يحاول ذلك. هذه تـدعى شـجاعة، لكنها ليست لاعنـف. أما حين يكــون من واجبه مواجهة المخــاطر ويهــرب، فإن موقفه يُعـدُّ جبنـاً. في الحالة الأولى يحصل المـرء على المحبة أو الصدقة، أما في الحالتين الثانية والثالثة فإنه سيحصل على الاستنكار أو عدم الثقة أوالخوف.

(هاريجان، 17-8-1935، ص211)

***

يُعدُّ هرب الإنسان من الخطر وعدم مواجهته، تنكّـراً لإيمانه بالله وحتى بذاته. لأن الأفضل للمـرء أن يغـرق نفسه من أن يعيش معلناً إفلاس ما يؤمن به.

(هاريجان، 24-11-1946، ص410)

***

لقد كررت مراراً وتكراراً أنّ من ليس بوسعه حماية نفسه أو أقــرب وأعز النــاس إليــه، أو حماية شــرفهم ومواجهة المــوت من دون عنــف، يمكن ويســتطيع أن يفعل هـــــذا عن طريق التعامل عن طريق العنف ضد المضَّطهد. أما من ليس بوسعه أن يفعل لا هذا ولا ذاك فإنه يشــكل عبــأً، لأنه ليس لديه ما يؤهله لأن يكــون رأساً لعائلـة، ولأنّ عليه إمّا أن يختـبىء وإما أن يرضى بالعيش إلى ما لا نهاية بلا
حول، وهو مستعد دوماً للزحف كدودة لتلقّي عطـاءات المستبد.

(الهند الفتاة، 11-10-1928، ص342)

***

لا يمكن تلقين اللاعنف لشــخص يخشى المــوت، ولا يملك القدرة على المقاومة؛ فالفأر الذي لا حـول له ليس لاعنفيـاً لأنه يهـرب دائمــاً من القــطّ، فهو كـان سـيأكله بسـرور لو كـان بوسـعه ذلـك، لكنه يحـاول دائمـاً الهـرب

منها. نحن لا ندعوه جباناً لأنه يقـدِّم أفضل ما بوسـعه ممّا زودته به الطبيعـة. لكن الإنسـان الـذي حين يواجه الخطر فيتصـرف كفـأر تصـحّ تسـميته بالجبـان؛ ففي قلبه يكمن عنــفٌ وحقــدٌ يمكن أن يــدفعاه إلى قتل خصــمه دون أن يـــؤذي نفسه لو اســـتطاع إلى ذلك ســـبيلاً. لأنه اللاعنف غريب عليه، ولا فائدة من تبشـيره بـه؛ فالشجاعة ليست من طباعـــه، وعليه قبل أن يتعلّم اللاعنف تعلُّم الصـــمود في مكانه، وأن يعـرّض نفسه للمـوت محـاولاً الـدفاع عن نفسه من مسـتبدٍّ يحـاول سـحقه. عـدم قيامه بهـذا يؤكّد عنفه، ويدفعه بعيداً عن اللاعنف.

وبينما لا أبدو الآن وكأني أحـاول المسـاعدة على الـرد، فـإنّ من واجـبي أنْ لا أسـمح لجبـانٍ بـأن يختـبىء خلف اللاعنــف؛ فــالكثيرين، ولأنهم لم يعرفــوا طبيعة العنــف، يعتقدون، بكل نزاهة، أنّ الهرب من دون مقاومة فضـيلة، وخاصةً حين يكون محفوفاً بخطر التعـرّض للمـوت. وأنـا، كمعلّم للاعنف، عليّ وقدر المستطاع التحـذير من اعتقـاد جبان كهذا.

(هاريجان، 20-7-1935، ص ص180 و191)

***

مقاومة العدوان

يجب عليّ أن أعيش، ومن أجل هـذا لن أكـون تابعـاً لأية أمة ولا لأي شـــخص. عليّ أن أكـــون مســـتقلاً بالمطلق أو أن أفـنى. تمنّي المـوت في صـدام مسـلح مجرّد تبجح، لكنّ الأمر مختلف حين أتحدّى جبروت من يحـاول حرمـاني من اسـتقلالي، لـذا أرفض الانصـياع لإرادته، وأقدّم حياتي من دون سـلاح وأنا أحـاول ذلـك. لأني بهــذا، وإن خســرت جســدي، أكــون قد ربحت روحي، أي كرامتي.

(هاريجان، 15-10-1938، ص290)

***

الديموقراطي الحقيقي هو الـذي يـدافع عن حريتـه، وبالتــالي عن حرية بلـــده، وفي النهاية عن كل الجنس البشري، لكن بوسائل غير عنفية...؛ فوجـوب المقاومة يزداد فقط عند أولئك الذين يؤمنون بـاللاعنف عقيـدة، وليس عند من يحسبون ثم يزنون ميزات كل حالـة، ثم يقررون أن يؤيّدوا أو يعارضوا حرباً معينـة. وهـذا يعـني أن مقاومة كهـذه هي قضـية شخصـية لأن كل شـخص بمفرده عليه أن يقرر بوحي من ذلك الصوت الذي في قلبه، إن كان يؤمن بوجوده.

(هاريجان، 15-4-1939، ص80)

***

الردّ على الوحشية بوحشية إقرارٌ بإفلاسـنا الأخلاقي والفكري، ويمكن لهذا أن يكون بداية حلقة مفرغة...

(هاريجان، 1-6-1947، ص174)

إنّ تقـــديم حياتك دون أن تقتل يتطلب أكـــثر بطولة (من تقديم حياتك أثناء القتال)، حيث لا شيء رائع البتة في فعل أن نَقتُل أو نُقتَل خلال عملية معينـــــــة. أمّا الشخص الذي يقدم عنقه لعدوه لكي يعدمـه، ويـرفض في الوقت نفسه الخضوع لإرادتـه، فإنه يبـدي شـجاعةً من نوع أسمى.

(هاريجان، 21-4-1946، ص95)

***

الآهيمسا (بمعـــنى اللاعنف أو اللاأذيـــة) من أســـمى مبادىء العالم، وما من قوة على هـذه الأرض تسـتطيع اجتثاثهـــا. فهي تُمكِّن الآلاف من أمثـــالي من تقـــديم حياتهم في محاولة للدفاع عن مبادئهـا، وهي بحـدِّ ذاتها لا تمــــوت، بل ينتشر إنجيلها بين المؤمـــنين الـــذين يُقدِّمون حياتهم من أجل القضية.

(هاريجان، 17-5-1946، ص140)

***

في الوقت الذي يمكن فيه اعتبار كل عنف سيئ من الناحية النظرية فإنه من المسموح، لا بل من الـواجب، بالنســبة للمــؤمن الحقيقي بالآهيمسا أن يمــيز بين المعتــدي وبين المــدافع عن نفســه. وهو بعمله هــذا، سـيقف إلى جـانب المـدافع عن نفسه لكن بطريقة لا عنفيــة، بمعــنى أنه ســيقدم حياته من أجل إنقــاذه. وسيسـاهم تدخلّـه، في هـذه الحالـة، في تسـريع إنهـاء الصــراع، ما يمكن أن تكــون نتيجته إحلال الســلام بين المتقاتلين.

(هاريجان، 21-10-1939، ص309)

إن كــانت الحــرب خطأ بحــدّ ذاتــه، فكيف بالإمكــان تأييدها أخلاقياً ومباركتها؟ أنا أؤمن بأنّ كلّ الحروب سيئة بـالمطلق. لكن، إن تمعنّا في نوايا الطـرفين المتقـاتلين، فقد نجد أنّ أحد هــــذين الطــــرفين محق وأن الآخر مخطىء. مثلاً، إن أراد الطــرف أنّ الســيطرة على بلد الطرف (ب) فمن الواضح أن الطرف (ب) ليس الطرف المخطىء. أجــل! إنّ كلا الطــرفين يقاتل مســتعملاً السلاح. وأنا لا أؤمن بالحرب العنيفـة، لكن الطـرف (ب) صاحب القضية العادلة يستحق كل مساندتي وتأيدي.

(هاريجان، 18-8-1940، ص252)

***

أعترف بـأنّ من حق الأمة - إن شـاءت - أن تسـعى لحريتها حتى عن طريق العنف الذي يسـود حاليـاً. لكن في هذه الحال، لن تبقى الهند تلك الأرض الـتي أحبهـا، وإن كانت مسقط رأسي، تماماً كما لن أشـعر بـالفخر إذا ما ضلّت والدتي الطريق.

(الهند الفتاة، 20-11-1924، ص382)

***

[...] حين أطلقت "سـاتياغراها" لأول مـرة، لم يكن إلى جانبي أي رفيـق. كنّا ثلاثة عشر ألف رجل وامـرأة وطفل مقابل أمة بكاملهـا، أمة كـان بوسـعها سـحقنا بالكامـل. لم أكن أعـرف من سيسـتمع إلي، لكن كل شيء حدث فجأة وخلال ومضـة. لم يقاتل الــ 13000 كلهم، وتراجع العديد منهم، لكننا أنقـذنا شـرف الأمـة. وعن طريق ساتياغراها في جنوب إفريقيا، بـدأت كتابة تاريخ جديد...

ستتحقق غـايتي إن تمكنت من ولـوج قلـوب أولئك الرجال بحيث أجعلهم يرون أنّ لاعنفهم، إذا لم يجعلهم أشجع من تملك السلاح والمقدرة على استعماله، فـإن عليهم التخلي عن اللاعنف الذي سيصـبح حينئـذٍ اسـماً جديـداً للجبن، (ما يعـني) اسـتعادة سـلاحهم الـذي لا يمنعهم شيء عن استعادته إلاّ رغبتهم الخاصة.

لأنّ ما أقدمه... من سلاح ليس للضعيف إنما للقوي. وما من شجاعة أكبر من رفض الركوع أمام أية سـلطة أرضـية، أيـاً كـانت قوتهـا، وهـذا ليس ممكنـاً من دون القـوة الجبـارة للـروح والإيمـان المطلق بـأن الـروح وحدها ستحيا، وليس أي شيء آخر.

(هاريجان، 15-10-1938، ص ص290 و291)

***

مهما بلغت ضـآلة الأمة أو المجموعـة، فبوسـعها، شـريطة امتلاك العقل والرغبة والإرادة، الـدفاع عن شرفها في وجه كل العـالم المـدجج بالسـلاح. وهـذا ما يصنع القوة التي لا تضارع و(يصـنع) جمـال الأعـزل من السـلاح. لأن هـذا هو الـدفاع اللاعنفي الـذي لا يعـرف الهزيمة ولا يقبلها أبداً. لذا فإن الأمة أو المجموعة التي جعلت من اللاعنف سياسـتها النهائية لا يمكن أن تُستَعبَد حتى وإن استعملت ضدها القنبلة الذريّة.

(هاريجان، 18-8-1946، ص265)

***

منعني إيماني بالآهيمسا من عدم إعطاء كل ذي حق حقه، حتى وإن كان يؤمن بالعنف. لذا، ورغم أني لا أشارك سوباش بوزي في إيمانه بالعنف وما يستتبعه من فعل، فإني لم أتردد في مساندة وطنيته ودهائه وشجاعته. وأيضاً، رغم أني لا أوافق على استخدام حكومة الاتحاد السلاح لمساعدة الكشميريين، ورغم عدم قدرتي على الموافقة على لجوء الشيخ عبد الله إلى السلاح، ليس بوسعي أن أخفي إعجابي بسلوكهم الذكي الذي يستحق الإطراء، خاصةً إن كان كل من العسكر أو المدافعين الكشميريين يقدمون حياتهم من أجل إنسان. لأني أعرف أنّ بمقدورهم، إذا كان بوسعهم التصرف على هذا النحو، تغيير وجه الهند ربما. لكن لو كان الدفاع لاعنفياً بالكامل كمقصد وكفعل، لما استعملت تعبير "ربما"، لأني في هذه الحال، سأكون متأكداً من أنّ وجه الهند سيتغير إلى حد إقناع أولئك المدافعون عن وجهة نظر حكومة الاتحاد، وحتى عن وجهة نظر الحكومة الباكستانية. والطريقة اللاعنفية، التي أقترحها، تكون بعدم مساندة المدافعين بالسلاح؛ فالهند يمكنها تقديم المساندة اللاعنفية من دون تحفظ. أما المدافعون، سواء تلقوا دعماً كهذا أم لم يتلقوه، فسيكون بمقدورهم مواجهة قوة الغزاة، وحتى قوة جيش منظم يفوقهم عدداً. لأنّ المدافعين الذين سيموتون في الموقع الذي يُلزمهم الواجب بالدفاع عنه، من دون أي حقد أو غضب في قلوبهم تجاه مهاجميهم، ومن دون استعمال أي سلاح ولا حتى قبضاتهم، سيقدمون عرضاً لبطولة لم يعرفها

التــاريخ بعــد، ما ســيُحوِّل كشــمير إلى أرضٍ مقدَّسة يغطّي أريجها ليس الهند فقط، بل العالم بأسره.
(هاريجان، 16-11-1947، ص413)

***

الخيار المطروح

لكن طريق السـلام أصـبح مفتوحـاً بالنسـبة لها (أي للهنـد)، واسـتقلالها صـار مضـموناً إن تحلت بالصـبر، وسيتم إثبات أن هـذا الطريق هو الأقصر حـتى ولو بـدا أنه الأطـــــول من منطلق طباعنا العجولــــــة. وطريق السـلام يـؤمن التطـور الـداخلي والاسـتقرار، ونحن لا نقبله لأننا نتخيل أنه يعني الخضوع لإرادة حـاكم فـرض نفسه علينا. لكن بمجـرد أن نتأكد من أن هـذا الفـرض هو مجـرّد ادعـاء، وأننا من خلال رغبتنا عـدم تحمّل أيّة خسـارة في الأرواح أو الممتلكـات، نتحمل جـزءاً منـه، وكل ما نحتاجه هو أن نُغيّر هـــذه الحالة الســـلبية من المسـاندة غـير الإيجابيـة. فالخسـارة الـتي سـنتحملها بسبب هذا التغيـير لا يمكن أن تقـارن بـالألم الجسـدي وبالخسارة الأخلاقية التي يتوجب علينا دفعها إن اخترنا طريق الحرب، والآلام الناجمة عن اتّباع طريق الحـرب تؤذي كلا الطرفين، بينما الآلام الناجمة عن اتِّباع طريق الســـلام هي لصـــالح الطـــرفين. إنها شـــبيهة بـــالآلام السعيدة لعملية الولادة.

طريق الســلام هو طريق الحقيقــة. والصــدق أكــثر أهمية من المسالمة. وبالفعل، فإن الكـذب هو السـبب الأول للعنف؛ فالإنسان الصـادق ليس بوسـعه أن يبقى عنيفاً. وسيتأكد خلال مسار بحثه أنه لا يحتاج لأن يكـون عنيفـــاً، وسيكتشف لاحقـــاً أنه طالما بقي أثر للحقيقة في داخلــه، فســوف يفشل في الوصــول إلى الحقيقة التي يبحث عنها.

(الهند الفتاة، 20-5-1926، ص154)

***

إذا تمكنت الهند، من خلال تـألّق الحقيقـة، أن تصـبح على مستوى تلك العقيدة (أي اللاعنف وعـدم الاعتمـاد على القـــوة الجســـدية)، فما من قـــوة على الأرض بوسـعها النظـر إليها بنظـرة شـريرة. وسـتكون هـذه مفخرة الهند، ومساهمتها في التقدم العالمي.

(هاريجان، 14-4-1946، ص90)

***

لقد أوصَـــــلَنا لاعنفنا إلى بوابة الاســــتقلال؛ فهل سـنتخلى عنه بمجـرد عبورنا هـذه البوابـة؟ فيما يتعلق بي، أنا مقتنع بقوة أن لاعنف الشـجعان - كما رجـوتُ - يقدّم لنا أكثر الوسائل أماناً وفعاليـةً لمواجهة العـدوان الأجنبي والفوضى الداخلية، تماماً كما ساعدنا على نيل استقلالنا.

ليس على الهند غير العنفية حقاً أن تخشى شيئاً من أية قـــوة خارجيـــة، ولن تحـــاول طلب الأســـطول البريطـاني، ولا القـوى الجوية البريطانية للـدفاع عنهـا. لكني أعلم أننا لا نتمتّع بلاعنف الشجعان بعد.

(هاريجان، 21-4-1946، ص95)

***

أصـبحت الهند حـرّة الآن، والحقيقة واضـحة تمامـاً أمامي. والآن، وقد رُفِع عبء الإخضـاع، يجب تعبئة كل القوى الخيّرة في جهدٍ جبار لبناء بلـدٍ تخلّى عن طريقة العنف المعهـودة لتسـوية النزاعـات بين البشـر، وذلك سواء كانت هذه الخلافات بين دولتين، أو فئتين تنتميان للشـعب ذاتـه. وعنـدي إيمـان بـأن الهند سـترتقي إلى مسـتوى الحـدث، وسـتثبت للعـالم أنّ ولادة دولـتين جديدتين لن تشكّل تهديداً لأحد بل ستكون بَرَكة لباقي الإنسـانية. ومن واجب الهند الحـرة أن تُحَسِّـنَ وسـائل

اللاعنف من أجل حـلّ النزاعـات الجماعيـة، وخاصة إذا كانت الحرية هي الثمن.

(هاريجان، 31-8-1947، ص302)

***

الهند والطريق اللاعنفي

بوسع مقاومة ســـلبية كـــاللاعنف أن تغيّر قلـــوب البشر...؛ فما الذي ينبغي عمله حتى يتحول الســمّ إلى بلسم؟ وهل هذا ممكن؟ أعرف أنّ هـذا ممكن، وأعتقد أني أعـــرف أيضـــاً الطريق من أجل ذلك ولكن، في الوقت الـذي نجد العقل الهنـدي فيه جـاهزاً للاسـتجابة للجهد الذي تتطلبه المقاومة السلبية، فإنه ليس جاهزاً بصورة كافية لتشـرُّب درس اللاعنـف، الوحيد القـادر – ربما - على تحويل السمّ إلى بلسم.

يقرّ الكثيرون بأنّ هـذا هو الطريق لكنهم لا يملكـون ما يكفي من الشجاعة لتبني الطريق الذهبي. ويمكنني أن أعلن من أعلى المـــنزل أن اللاعنف لم يفشل قط بل الناس هم الذين فشـلوا في الارتقـاء إلى مسـتواه. ولسـتُ أبـالي إذا ما اتُّهِمت بـأني لا أعـرف تقنية نشر اللاعنف. لا بل يذهب نقادي إلى أبعد من ذلك فيقولون إني لا أتمتع باللاعنف حتى في داخلي، لكنّ الله وحــده يعرف ما في قلوب البشر.

(هاريجان، 20-7-1947، ص243)

***

لا يحق لأحد أن يقـــول إنّ ما لا يمكن تحقيقه خلال المعركة في ســبيل الاســتقلال، لا يمكن تحقيقه على الإطلاق. بل بالعكس، هنالك اليــوم فرصة حقيقية لكي نـبرهن سـيادة الآهيمسـا. صـحيح أن شـعبنا قد جـرى امتصاصه إلى الدوامة العالمية للعســـــكرة، ولكن إن تمكن القلائل من البقاء خارج هذا التيـار، فـإن مـيزتهم

ســـتكون أنهم أعطـــوا مثـــالاً عن آهيمسا الشـــجعان وسوف يتمّ الاعتراف بهم كأول خدّام للهند. لكنّ هذا لا يمكن إثباته عن طريق المنطـــــق، ولكي يتم إثباته عن طريق التجربة، ينبغي القبول به من منطلق الإيمان.

(هاريجان، 1-2-1948، ص6)

***

يمكن أن تكـون الشـرطة ضـرورية حـتى في الدولة اللاعنفيـة، وأعـترف بـأن هـذا دليل على عـدم اكتمـال الآهيمسا عنـــدي؛ فليست لـــدي الشـــجاعة لإعلان أنّ بوسـعنا التـدبر من دون قـوة الشـرطة وقـوة الجيش. بطبيعة الحال يمكنني تخيّل دولة لا يكـون فيها ضـرورة للشـرطة، ولكن: هل سـننجح في تحقيق هـذا؟ وحـده المســتقبل يســتطيع الإجابة عن هــذا الســؤال. لكنّ الشـرطة سـتكون - حسـبما أتخيلها - من نمط مختلف تمامـــاً عن شـــرطة هـــذه الأيـــام، إذ يتـــوجب على المنتسبين إلى سلكها أن يكونوا مؤمنين باللاعنف، وأن يكونـوا خـدماً للشـعب وليس أسـياداً عليـه، ما يجعل النـاس يقـدمون لهم المسـاعدة بشـكل تلقـائي. وعن طريق هذا التعاون المتبـادل سـيكون بوسـعهم التعامل بسهولة مع حوادث العنف المتناقصـة. سـيكون بحـوزة الشـرطة طبعـاً بعض أنـواع السـلاح، لكن اسـتخدامها سيكون نادراً جـداً، وقد لا تُسـتخدم البتـة. وعلى أرض الواقـــع، ســـيكون رجـــال الشـــرطة من المصـــلحين، وتعـــاملهم الشـــرطي ســـيكون -بالدرجة الأولى- مع اللصوص وأفراد العصابات.

كما ســـتكون النزاعـــات بين العمل ورأس المـــال والإضـرابات نـادرة جـداً في الدولة اللاعنفية لأن تـأثير الأغلبة اللاعنفية ســيكون كبــيراً إلى حد أنه ســيفرض احترامه على كافة مكونـــات المجتمـــع، ما يعـــني في

نفس الـوقت أنه لن يكـون هنـاك مكـان للاضـطرابات الاجتماعية.

(هاريجان، 1-9-1940، ص265)

***

كيف ستكون حال السجون في الهند الحـرّة؟ سـتتم معاملة كافة الســـجناء فيها كمرضــــى، وســـتكون كالمشافي التي تقبل هذا النوع من المرضى لتعـالجهم وتشفيهم. لا أحد يرتكب جريمة للمتعة التي تحققها له، بل هي دلالة اضطراب ذهني. لذا يجب تقصّي مسبِّبات كلِّ حالة، وإزالتها. ولا حاجة حين تتحـول السـجون إلى مشافي أن تكون هذه الأخيرة قصوراً؛ فليس بوسع أي بلد تحمّل كلفة كهذه، فما بالكم ببلد فقير كالهنـد. لكن مظهر الطـــاقم العامل في الســـجن يجب أن يكـــون كمظهر الأطباء والممرضين في المشــافي، حيث يجب أن يشعر السجناء أن المسؤولين هناك أصــدقاؤه، وأن واجبهم مســاعدتهم على اســتعادة عــافيتهم العقليــة، وليس إرهاقهم بأي شكل. طبعاً يجب على الحكومــات الشعبية أن تصدر المراسيم اللازمة من أجل ذلك، لكن في نفس الـوقت يجب على طـاقم السـجن أن يعمل الكثير لأنسنة إدارته.

مــاذا ســيكون في هــذه الحــال واجب الســجناء؟... عليهم التصرف كسجناء مثاليين. عليهم تجنب أي خرق لأنظمة السـجن. وعليهم إعطـاء قلبهم وروحهم للعمل المكلفين بــه. فعلى ســبيل المثــال، إذا كــان الســجناء يُعــدّون طعــامهم بأنفســهم يتــوجب عليهم تنقية الــرز والبرغل أو أي نــوع من الحبــوب يســتعملونه بحيث لا تبقى فيها أية حصــاة أو رمل أو ســوس. كما يجب رفع كل شــكاوي الســجناء إلى الجهــات المســؤولة أصــولاً. وعليهم أن يفعلوا هـذا في هـذا المجتمع الصـغير الـذي

يعيشــون فيه لأنّ عليهم أن يخرجــوا من الســجن في حال أفضل من تلك التي دخلوه فيها.

(هاريجان، 2-11-1947، ص395)

***

إن جعلت الهند من العنف إيمانــاً لهــا، وتمكنت من الاسـتمرار في الحيـاة بعد ذلـك، فلن أعبأ إذا ما عشت فيها أم لا. وستكفّ الهند عن توليد أي شعور بــالاعتزاز لــدي، لأن وطنيــتي هي محصــلة إيمــاني؛ فأنا متعلق بالهند كما يتعلق بأمه طفل يشـــعر أنها تقـــدّم له من ثــديها ما يحتــاج إليه من غــذاء روحي، لأن فيها البيئة التي تستجيب مع أسـمى تطلعـاتي. لكن عنـدما يـزول هذا الإيمان سأشعر بأني يتيم لا أمل له في أن يجد أي حارس.

(الهند الفتاة، 6-4-1921، ص128)

***

الفصل السادس

ساتياغراها

إنجيل ساتياغراها

أنا متأكد تماماً من أنّ بوسع المقاومة السلبية تليين أكثر القلوب تحجراً...؛ فهي دواءٌ ملكي فعّال إلى أقصى حد...؛ وسلاحٌ من أطهر الأسلحة. إنه ليس سلاح الضعيف، لأن المقاومة السلبية تتطلب شجاعة أكبر مما تتطلبه الشجاعة الجسدية: إنها شجاعة يسوع ودانيال وكرامر ولاتيمر وريدلي، الذين بوسعهم السير بهدوء لمواجهة العذاب والموت، وهي شجاعة تولستوي الذي تجرأ وتحدّى قيصر روسيا. إنها الشجاعة الأعظم فعلاً، لأنه يكفي فعلاً مقاوم سلبي حقيقي واحد كي نربح معركة الخير ضد الشرّ.

(الهند الفتاة، 10-11-1921، ص362)

***

نقل البوذا الحرب إلى معسكر العدو دون وجل، مما جعل الكهنوت المتعجرف يجثو على ركبتيه. كذلك طرد المسيح الصرّافين من هيكل أورشليم، وأنزل لعنات السماء على المنافقين والفريسيين. لأن كلاهم كانوا يدعون إلى العمل المباشر والقوي. لكن، وعلى الرغم من أن البوذا والمسيح كانا يؤدِّبان، إلاّ أنهما أبديا من خلال أفعالهما رقة وحباً لامثيل لهما. لأنهما ما كانا ليرفعا إصبعاً على أعدائهما، ما جعلهما يقدمان نفسيهما بكل طيبة خاطر عوضاً عن أن يتنازلا عن الحقيقة التي عاشا من أجلها. فالبوذا كان بوسعه الموت مقاوماً الكهنوت، لو لم يبرهن من خلال حبه

أنه يســـتطيع جعلهم ينحنـــون. والمســـيح مـــات على الصـــليب، وعلى رأسه شـــوك، متحـــدياً جـــبروت إمبرطورية بكاملهـــا. وأنا حين أدعو إلى مقاومة ذات طـابع لاعنفي، فـإني بكل تواضع وبكل بسـاطة، أسـير على خطى هذين المعلمين الكبيرين.

(الهند الفتاة، 12-5-1920، ص3)

***

أعتقد بحـزم أن العصـيان المـدني هو أكـثر أشـكال التحريض البنيوي طهارة. طبعـاً، من الممكن أن يصـبح مخزياً ومحتقراً إن كان طابعه اللاعفي مجرد ذرّ رمـاد في العيـون. لأننا إن قبلنا بنزاهة اللاعنـف، فلا مسـوغ لإدانة أكثر أفعال العصيان شراسة بسبب الاشتباه بأنها قد تودي إلى العنف. لا يمكن القيام بأي تحرك كبـير أو خفيف دون مخاطر كبيرة، والحياة لا تستحق أن تعاش ما لم تصاحبها مخاطر كبيرة. ألا يـبيّن لنا تـاريخ العـالم أنْ لا شاعرية في هذه الحياة إن خلت من المخاطر.

(الهند الفتاة، 15-12-1921، ص419)

***

الشـرط الأول الـذي لا يمكن الاسـتغناء عنه في أية مقاومة مدنية هو أنها يجب تضـمن عـدم حـدوث أي انفجار للعنف، سواء من طرف الذين يتبنـون المقاومة المدنية أو من قبل الجمهـور بشـكل عـام. وهنا لا تنفع الإجابة الـتي يقـول، في حـال حصـول أي عنـف، إنّ مســـببه هو الدولة أو أية مؤسسة أخـــرى معادية للمقاومة المدنيـة. يجب أن يكـون واضـحاً أن ليس بوسع المقاومة السلبية أن تزدهر وسط أجواء العنـف. لكن هـذا لا يعـني أن إمكانـات السـاتياغراهي قد اسـتنفذت، لأنه يجب اكتشـاف طرائق أخـرى غـير العصيان المدني.

(هاريجان، 19-3-1939، ص53)

***

هـذا هو جمـال سـاتياغراها. إنها تنبع من النفس، ولا حاجة لأن يخـرج المـرء كي يبحث عنهـا؛ فهي فضـيلة متأصلة في المبدأ نفسه. إنها مثل دهارمـايودا (بمعـنى الحرب الـتي تخـاض لغايـات نبيلـة، وبطرائق ووسـائل صـحيحة)، لا توجد أسـرار لحمايتهـا، ولا مجـال فيها للتعليب، ولا مكـان فيها للكـذب، فهي تـأتي من غـير تفكـر، والمـؤمن جـاهز على الـدوام لتلقيهـا. فالصـراع الذي يتطلب تخطيطاً مسـبقاً ليس صـراعاً، ولا يحصل إلاّ حين يشعر الساتياغراهي باليأس، فيبـدو وكأنه على حافة الإفلاس، ولا يـرى من حوله إلاّ الظلام، ما يجعل الله يأتي لنجدته.

(الساتياغراها في جنوب إفريقيا، ص14)

***

غالبـاً ما يسـاء اسـتعمال كلمة سـاتياغراها من أجل تغطية عنف مسـتور. لكـني، كمؤلف لهـذه الكلمـة، أسمح لنفسي بأن أقول أنها تنفي أي شكل من أشكال العنف، سواء كان مباشـراً أو غـير مباشـر، مسـتوراً أو غير مسـتور، في الفكر أو القـول أو الفعـل. لأنه خـرق للسـاتياغراها أن نسـيء لخصم أو نقـول لـه، أو عنـه، كلاماً قاسياً وبهدف الإساءة...

لأن السـاتياغراها لطيفـة، ولا تـؤذي أحـداً البتـة، ولا يجوز أن تكون نتيجة فعل غضب أو خبث، فهي لا تدقق بالتفاصـيل وليست عجولة ولا صـاخبة. إنها عكس الإكراه، وقد وضعت كبديل كلي للعنف.

(هاريجان، 15-4-1933، الصفحة 8)

***

تزداد معرفتي بالسـاتياغراها نمـواً كل يـوم عرفـتي، وليس لدي نصّ كتاب حولها كي أراجعه عند الحاجة، ولا أملك حتى الغيتا التي أعتبرها قاموسـي. فالسـاتياغراها التي صُمِّمت من قبلي كعلم يمكن أن تثبت بانها ليست علمـاً على الإطلاق، وتـبرهن على أنها مجـرّد تـأملات وأفعال شخص معتـوه، إن لم نقل مجنـون. حيث يمكن أن يكـــون ما هو حقيقي في الســـاتياغراها قـــديماً كالجبال، لكن لم يتم التسـليم بعد بقيمتها من أجل حـلّ مشـاكل العـالم، أو على الأقـل، مشـكلته الرئيسة أي الحرب. حيث يمكن لما ندّعي أنه صـحيح فيها أن يثبت، من منظور هـذه المشـكلة الكـبرى، أن لا قيمة له على أرض الواقــع. وأنّ ما ندعيه انتصــارات للســاتياغراها، بمعـــنى الآهيمســـا، هو في الحقيقة انتصـــارات ليس للحقيقة بل للخـوف من العنـف، وقد واجهت دائمـاً كل هـذه الاحتمـالات. إنـني أشـعر بـالعجز، وكل ما أقدمه للأمة مجـرّد صـلاة أو - وهـذا يعـني نفس الشـيء- أني أنتظر دائماً العون الإلهي.

(هاريجان، 24-9-1938، ص266)

***

حين لا تستسلم روحك أمـام الغـزاة فهـذا يعـني أن ضــميرك يمنعك عن القيــام بــذلك. وعلى فــرض أن "العـــدو" طلب منك تمريغ أنفك في الـــتراب، وشــدّ أذنيــك، والقيــام بمثل هــذه العــروض المهينــة، فإنك ســترفض حتمــاً هــذه الإهانــات. لكن إن انــتزع منك أملاكك، فسلِّمها لأنك، كمريد للآهيمسا، اتّخذت قرارك، منذ البداية، بأنّ الممتلكات الأرضية لا تعني شيئاً.

(هاريجان، 18-8-1940، ص ص253 و254)

***

لقد ازدادت قناعتي بأن تأمين الحاجات الأساسية للناس لا يتمّ عن طريق المنطق فقط، وإنما عليهم أن يدفعوا ثمنه من خلال معاناتهم. لأن المعاناة هي قانون البشر، كما الحرب هي قانون الغاب. لكن المعاناة أكثر قوة بما لا يقاس من قانون الغاب من أجل تحويل الخصوم وجعلهم يستمعون، وإلاّ بقيت آذانهم صمّاء أمام صوت العقل.

(هاريجان، 5-11-1931، ص341)

***

بما أنّ الساتياغراها هي أحدى أكثر طرق العمل المباشر فعاليةً، فإنّ الساتياغراهي يستنفذ كل الطرائق الأخرى قبل أن يلجأ إليها. حيث سيحاول، بشكل دؤوب ومستمر، مقاربة السلطة القائمة، كما سيلجأ إلى الرأي العام لتوعيته، عارضاً قضيته ببرود وهدوء أمام كل من يرغب في الاستماع إليه، ثمّ، وبعد أن يستنفذ كل هذه الطرائق، يلجأ إلى الساتياغراها. لكنه حين يلاقي الدعوة الملزمة للصوت الداخلي، ويطلق الساتياغراها بواسطتها، يكون قد أحرق مراكبه ولم يَبقَ مجالاً للتراجع.

(الهند الفتاة، 20-10-1927، ص357)

***

تعتبر المؤهلات التالية... ضرورية لكل ساتياغراهي في الهند:

- أن يملك ثقة حية بالله، فهو سنده الوحيد.
- أن يؤمن بالحقيقة وباللاعنف كعقيدة، ما يعني أن يؤمن بالخير المتأصل في الطبيعة الإنسانية التي يتوقع أن يحرّكها عن طريق الحقيقة والمحبة التي يعبر عنهما من خلال ألمه.

- أن يعيش حياة عفيفة، ويكون مسـتعداً وقـادراً على أن يتخلى، أجل قضيته، عن حياته وممتلكاته.

- أن يلبس العُمرة بشكل عادي، لأن هـذا أساسي في الهند.

- أن يمتنع عن تنـاول أية مسـكرات أو مخـدرات بحيث يكون ذهنه صافياً دائماً، ويبقى عقله متوازناً.

- أن ينفِّذ بكل طيبة خـــــــــاطر جميع القواعد والأنظمة التي تصدر بين الحين والحين.

- أن ينفِّذ قواعد السجن ما لم تكن معدَّة خصيصاً للنيل من احترامه لذاته.

ليست هـــذه المـــؤهلات حصـــرية بل توضـــيحية فحسب.

(هاريجان، 25-3-1939، ص64)

***

الســــاتياغراها هي ســــلاح الصـــادقين أساســـاً. والساتياغراهي ملـزم بـاللاعنف، وما لم يـراقب المـرء أفكـــاره، من خلال كلامه وأفعالـــه، فليس بوســعه أن يقدم الساتياغراها.

(سيرة ذاتية أو قصد تجاربي مع الحقيقة، ص345)

***

القمع بحد ذاته يُدرّب على السـاتياغراها، تمامـاً كما تـــؤمِّن حـــرب غـــير متوقعة تـــدريباً للجنـــدي. حيث سيكتشف الساتياغراهيون أسباب القمع، وسيكتشفون أن المقمـوعين يخشـون بسـهولة أي مظهر من ظـاهر القـوة، وأنهم غـير مسـتعدين لتحمّل أي عـذاب أو أية تضحية شخصية. عندئذ يكون الوقت قد حان لتعلم أول دروس الساتياغراها. فعلى من يعـرف أي شـيء يتعلق بهـذه القـوة الـتي لا مثيل لها أن يـدرِّب جيرانه على تحمّل القمـع، لا كضـعفاء ويائسـين إنما بكل شـجاعة

ووعي... وتبقى (قواعد الإعـــداد المملّة هـــذه) أهم ما يتطلبه التدريب على الساتياغراها.
ويبقى أنه لا يمكن التوصل إلى لاعنف فاعل ونشيط ما لم يمر المـــرء عـــبر مراحل ضـــرورية قد تســـتلزم الكثير من التأني.

(هاريجان، 8-4-1939، ص80)

***

قوة الساتياغراها

السـاتياغراها قـوة كونيـة، تبـدأ من العائلة لتمتد إلى كل الحلقات الأخرى.
تصوروا إقطاعياً يستغلّ المستأجرين لديه، ويغرّمهم مستفيداً من ثمرة عملهم التي جيّرها لحسابه الخـاص. وعنـدما يحاججونه لا يُصـغي إليهم، ويعـترض قـائلاً إنّ عليه أن يلبّي الكثير من مطالب زوجته وأولاده، وهكذا. ما يدفع المسـتأجرون ومن يؤيـدونهم ويتمتعـون ببعض النفوذ إلى اللجوء لزوجته لتنقل احتجاجهم إلى زوجهـا. ومن الممكن جداً أن تستجيب لمطالبهم وتقـول إنّها لا تحتـاج لهـذا المـال المسـتغَلّ. وكـذلك الأولاد الـذين بوسعهم أن يقولوا إنهم سيؤمّنون احتياجاتهم بأنفسهم. ثم لنفـترض بعد كل هـذا أنه لم يسـتجب، أو أنّ زوجته وأولاده تضامنوا معه ضد المستأجرين الذين لم يُذعنوا، مما قد يـــدفع المســـتأجرين أن يتخلـــوا عن الأرض إن طُلب منهم ذلـــــك، مع إخبـــــاره أنّ عليه أن يُـــــذعن لمطالبهم العادلة إن أرادهم أن يستمروا. ومن الممكن في هذه الحال أن يسـتبدلهم بمسـتأجرين آخـرين، مما قد يُولِّد بعض الاضـــطرابات الـــتي لم تصل إلى حـــدّ العنف، والتي ستستمر حتى يتنبه المسـتأجرون الجـدد لخطئهم، فيتضامنوا مع المستأجرين المبعدين.

وهكذا فإن السـاتياغراها هي طريقة لتثقيف النـاس، تنتشر بحيث تُغطّي كل مكونــــات المجتمع مما يجعل من غـــير الممكن مقاومتها في نهاية المطـــاف. لكنّ العنف يقطع التطـــور الطـــبيعي للعملية برمتها الأمر الـــذي يطيل أمد الثـــورة الحقيقية في قلب المجتمع برمّته.

والشروط الضرورية لنجاح الساتياغراها هي:

(1) - يجب أن لا يحمل السـاتياغراهي في قلبه أيّ حقد تجاه خصمه.

(2) - وأن يكون هدفه حقيقياً وملموساً.

(3) - وأن يكـون مسـتعداً لتحمّل الألم حـتى تحقيق ما يسعى إليه.

(هاريجان، 31-3-1946، ص64)

***

اللاتعاون

في بعض الأوقات يصبح اللاتعاون واجباً كالتعاون، إذ ما من أحد مـرغم على التعـاون مع شـخص يمـارس الخطأ أو الاسـتعباد. والحرية الـتي يتم الحصـول عليها عن طريق جهود الآخـرين، مهما كـانت خـيرة، لا يمكن الاحتفاظ بها حين يزول ذلك الجهـد، ما يعـني، بكلمـات أخـرى، أنها ليست حقيقيـة. لكن بوسع الإنسـان الأكـثر تواضـــعاً أن يشـــعر بوهجها بمجـــرّد أن يتعلم كيفية الحصــول عليها عن طريق الفعل اللاعنفي. لأني متأكد من أن اللاتعاون اللاعنفي قادر على أن يــؤمّن ما ليس بوسع العنف تأمينـه، وذلك عن طريق التحـول النهـائي للمخطــئين. ونحن في الهند لم نعـــطِ اللاعنف قط ما يســتحقه من محاكمـــة. لكنّ الأعجوبة أننـــا، وبلاعنفنا المشوب، حققنا الكثير.

(الهند الفتاة، 20-4-1920، ص97)

***

الفصل السابع
اللاتملّك

إنجيل اللاتملك

تعتمد حضـارتنا وثقافتنا وجنّتنـا، على هـذه الأرض، ليس على مضاعفة احتياجاتنا الخاصة، بمعنى التساهل مع الذات، وإنما على الحدِّ من هذه الاحتياجات، بمعنى نكران الذات.

(الهند الفتاة، 23-2-1921، ص59)

***

وهكذا نصل إلى مبدأ نكـران الـذات الكامـل، ونتعلم استخدام الجسد، ما دام حيـاً، من أجل الخدمـة، بحيث تصبح هذه الخدمة – وليس الخبز – قوت يومنا؛ فيصبح طعامنا وشـرابنا ونومنا ويقظتنا من أجل هـذه الخدمة فقط. مثل هذه الحالة الذهنية تؤمّن لنا، طوال الوقت، السعادة الحقيقية وروح الابتهاج. فلنحاسب أنفسـنا من هذا المنظور.

وهنـا، لسـنا بحاجة لـذكر أنّ هـذه ليست دعـوة للعطالة، لأنّ علينا أن نملأ كل لحظة من حياتنا بنشـاط عقلي وجسـدي، لكن هـذا النشـاط يجب أن يكـون من أجل الحقيقة (سـاتفيكا). كما أنّ من يكـرّس حياته من أجل الخدمة يتعلم التمييز بين النشـاط الجيد والنشـاط الشرير. وهذا يتم بشكل طبيعي بالنسبة لعقل مكـرَّس للخدمة.

(من يرفدا مندير، ص ص 6-23)

لماذا علينا جميعـاً اقتنـاء الممتلكـات؟ لمـاذا لا يجب علينا، جميعنا، وبعد فترة من الزمن، تجريد أنفسـنا من كل الممتلكـات؟ التُّجـار عـديمو الأخلاق يفعلـون ذلك

لغايـات غـير نزيهـة، لكن لمـاذا ليس بوسـعنا أن نفعله لغايات نزيهة؟

لقد كان هذا الأمر شيئاً اعتيادياً بالنسـبة للهندوسي في مرحلة معينة، حيث كـان يُتوقّع من كـلِّ هندوسـي، وبعد أن عـاش حيـاةً منزلية لفـترة معينـة، أن يـدخل مرحلة حياتية أساسها اللاتملُّك. لماذا لا يكون بمقدورنا إعادة إحياء هذا المنقول الجميل؟ السبب في هذا يعود على الأغلب إلى أننا بقيامنا بـذلك نضع أنفسـنا تحت رحمة من ننقل إليهم ملكيتنـا. لكن هـذه الفكـرة تبـدو جذابة جداً بالنسبة لي. لأنّ من بين عـدد لا يحصي من حـالات تؤكد هـذه الثقة المشـرّفة نـادرة جـداً هي الحالات التي تتمّ فيها خيانتها.

... أما كيف يمكن أن نطبق هكـذا ممارسة من دون أن نُمكّن أشخاصاً غـير جـديرين بالثقة من اسـتغلالها؟ فحُكمٌ يمكن أن نكتسبه بعد ممارسة طويلة. مما يعني أنْ لا شـيء يجب أن يمنعنا عن القيـام بهـذه التجربة لمجـرّد خوفنا من أننا قد نُسـتغل. حيث لا شـيء منع المؤلف الإلهي للغيتا عن تقديم الرسالة المتضـمنة في "أنشـودة السـماء"، وهو كـان يعـرف أنه بسـببها سـيتعرض للعـذاب من أجل تـبرير كل نـوع من أنـواع الرذيلة بما فيها القتل.

(الهند الفتاة، 3-7-1924، ص221)

لا يمكن للحب والتملك الحصـري أن يتطابقا لأنـه، نظريـاً على الأقـل، حيث يوجد حب كامل يفـترض أن يوجد لا تملك كامـل. والجسد هو آخر الأشـياء الـتي نملكها، لذا ليس بوسع المرء أن يطبّق الحب المثـالي، وأن يتجـرّد كليـاً من ملكيتـه، ما لم يكن مسـتعداً لأن يقبل المـوت، وأن يتنكر لجسـده من أجل الخدمة الإنسـانية. لكن هـذا صـحيح فقط من الناحية النظريـة.

ففي الحيـــاة العملية ليس بمقـــدورنا تطـــبيق الحب المثالي بسهولة، لأن الجسد كملكية سيبقى غير كامل، وسـيبقى من واجبه دائمـاً السـعي نحو الكمـال. وهـذا يعني إنّ الكمـال في الحب سـيبقى مثـالاً بعيد المنـال طالما نحن أحيـاء، وإن كـان من واجبنا أن نسـعى إليه باستمرار.

(المجلة الجديدة، تشرين الأول 1935، ص412)

***

تخلَّ عن كل شيء وكرّسه لله، ثمّ عش حياتك. هـذا يعني إنّ الحق في الحياة مشتقّ من إنكار الذات. حيث لا يقــال: "عنــدما يفعل الجميع ما عليهم، ســأفعل ما عليّ"، بل يُقـال: "لا تهتم بما يفعله الآخـرون، بل افعل أنت ما عليك ودع له الباقي".

(هاريجان، 6-3-1937، ص27)

***

الفقر والغنى

كم كان رائعاً وحكيماً لو افتتح المـانحون مؤسسـات يُقـدِّمون فيها وجبـات طعـام صـحية، وفي بيئة نظيفـة، إلى رجال ونساء يعملون لـديهم. من نـاحيتي أعتقد أن المغـــزل أو أي وســـيلة تتعامل مع القطن هي العمل الأمثل. أمّا إن لم يكن لديهم هـذا فبوسـعهم اختيـار أي عمل آخر. القاعدة الوحيدة يجب أن تكون "لا طعام بلا عمل"...

لأني أعرف أنّ من الأسهل بكثير إلقاء الوجبــات في وجوه العاطلين عن العمـل، بينما أصـعب بما لا يقـاس تنظيم مؤسسة يقـــدم العمل النزيه فيها قبل تقـــديم الوجبات. من منظور مـادي، وفي المراحل التأسيسـية علي أي حال، فـإن تقـديم الوجبـات للنـاس بعد جعلهم يعملـون هو أكـثر كلفة من تـرك المطبخ حـرّاً كما هي

عليه الحــال الآن. لكــني أعتقد أنه ســيكون أقل كلفة على المـــدى الطويل إن لم نشأ أن نزيـــد، كالمتوالية الهندسية، عدد المتسكعين الـذي يتزايد بشـكل مفـرط على هذه الأرض.

(الهند الفتاة، 13-8-1925، ص282)

***

إله الفقراء

لا أتجرّأ أن أنقل لهم رسالة اللــه. كما ليس بوسـعي أن أضع أمــام الكلب هنــاك، وأمــام ملايين الجــائعين الـــذين لا بريق في أعينهم، والـــذين إلههم الوحيد هو الخبز، رسالة الله. فقط بوسعي أن أنقل إليهم رســالة الله من خلال رسالة العمل المقدس. إذ يمكن التحدث عن الله ونحن جالســين هنا أمــام وجبة إفطــار جيــدة، وننتظر وجبة الغــداء، لكن كيف بوســعي التحــدّث عن الله للملايين الــذين ليس بوســعهم تنــاول وجبــتين في اليــوم؟ فبالنســبة لهــؤلاء لا يمكن للألوهة أن تكــون إلاّ خــبزاً وزبــدة. وقد قــدّمت لهم المغــزل آملاً أن يغــدو بوســعهم الحصـول على الزبــدة. وإن كنت أبــدو اليــوم مرتــدياً مــئزري، فلأني أصــبحت الممثل الوحيد لهــؤلاء الملايين من أنصاف الجائعين وأنصاف العراة العاجزين عن الكلام.

(الهند الفتاة، 15-10-1931، ص310)

***

الفصل الثامن

في العمل

في إنجيل العمل من أجل القوت اليومي

خلق الله الإنسـان لكي يعمل من أجل قـوت يومـه، وقال: الذين يأكلون ولا يعملون لصوص.

(الهند الفتاة، 13-10-1921، ص325)

***

لقد علمت بالقـــانون القائل أنّ على الإنســـان أن يعمل لكي يأكـل. وقد جـاءتني أولاً من قـراءة كتابـات تولسـتوي حـول الخـبز والعمـل. لكن، حـتى قبل ذلـك، بدأتُ بتقدير هـذه الفكـرة حين قـرأت كتـاب روسـكين بمعزل عن الماضي. وكان أول من تناول هـذا القـانون الإلهي القائل بـأن على الإنسـان أن يحصل على خـبزه بعمل يديه كـان كاتبـاً روسـياً يـدعى بونـداريف، الـذي عـرّف به ودعى إليه تولسـتوي. من وجهة نظـري، لقد تمّ التعــرّض لنفس الموضــوع في الفصل الثــالث من الغيتا حيث نقل إلينا بـأن الــذي يأكل من دون تقــديم أضحية إنما يأكل طعاماً مسـروقاً. والأضـحية هنا تعـني الخبز الذي هو نتاج العمل.

(من يرفدا مندير، ص35)

***

وصلنا بالمنطق أيضاً إلى نفس النتيجة. هل يحق لامرئٍ لا يعمل بذاته أن يأكل؟ "عليك أن تأكل خبزك بعرق جبينك" - هذا ما قاله الكتاب المقدس. ليس بوسع المليونير أن يستمر طويلاً، وسيصيبه الملل بسرعة، إن بقي طوال اليوم مستلقياً على فراشه، لذا نراه يتمرّن على الجوع الذي سيساعده على تأمين قوته. لو أنّ كل واحد منا، سواء كان غنياً أم فقيراً، تمرّن على هذا، بأي شكل أو بأية طريقة، فلما لا يتمرّن على التحصيل الإيجابي للطعام؟ لم يطلب أحد من المزارع أن يمارس تمارين رياضية، وأن ينمي عضلاته. لا بل أنه أكثر من تسع أعشار الإنسانية يعيش من فلاحة الأرض. كم كنّا أسعد، وأكثر صحةً وسلاماً لو أن العشر المتبقي اتّبع مثال الأكثرية الساحقة، على الأقل فيما يتعلق ببذل ما يكفي من الجهد لتحصيل خبزهم.

***

لم يخلق الله أكثر مما نحتاج إليه لتلبية احتياجاتنا الآنية، لذلك فحين يتملك الفرد أكثر مما يحتاج إليه يفقر جيرانه. وسبب مجاعة الناس في أصقاع متفرقة من الأرض أن الناس يستولون على أكثر مما يحتاجون إليه. ونحن بوسعنا استعمال هبات الطبيعة كما نشاء لكن، في كتب الطبيعة، يتساوى دائماً ما يؤخذ وما يعطى. أمّا في كتبنا فليس هناك أي توازن في أي من العمودين.

(تطبيق تعاليم الأشرام، ص ص 62 – 63)

***

كان العمل الذكي من أجل الخبز دائماً أعلى أشكال الخدمة الاجتماعيـة، لكن كم سـيكون أفضل لو أضـاف الإنسان بجده الخاص شيئاً مفيـداً إلى ثـروة البلـد: أن "نكون" هو أن "نفعل".

وقد أضـيفت صـفة "الـذكاء" إلى العمل لتبيـان أنّ العمل، لكي يكون خدمة استشارية، يجب أن تكـون له هـدفٌ معين. وهـذا يعـني أن كل عامل يقـدم خدمة اجتماعية، ويفعل هذا بطريقة ما. لكنّ المعنى هنا أكـبر بكثـير، لأن الشـخص الـذي يعمل للصـالح العـام يخـدم المجتمع ويسـتحقّ الترقيـة. لهـذا فـإن العمل من أجل الخبز لا يختلف عن الخدمة الاجتماعية.

(هاريجان، 1-6-1935، ص125)

***

لو عـاش كل شـخص من عـرق جبينه لكـانت الأرض جنـة، ولما تطلبت مسـألة اسـتخدام الكفـاءات الخاصة مراعـاة متمـيزة. لو أن كل شـخص عمل جسـدياً من أجل تحصيل خـبزه، فـإن النتيجة سـتكون أنّ الشـعراء والأطباء والمحامون إلخ... سيكتشـفون أنّ من واجبهم تقديم مؤهلاتهم من أجل خدمة الإنسـانية دون مقابـل، مما يجعل محصـلة إخلاصـهم المتجـرد للـواجب أفضل وأغنى بما لا يقاس.

(هاريجان، 2-3-1947، ص47)

***

العـودة إلى الريف تعـني اعترافـاً محـدداً وطوعيـاً بـواجب العمل لتحصـيل الخـبز، وإن كـانت لا تشـكل ضماناً. لكنّ الناقد يقول إنّ "الملايين من أطفـال الهند يعيشون اليوم في القـرى ولكنهم، رغم هـذا، يعيشـون حياة تقـارب المجاعـة"، وهـذا صـحيح مع الأسـف. ولو

كان بمقـدورهم لتهرّبـوا من العمـل، ولجـأوا حـتى إلى أقرب مدينة تؤمن لهم احتياجاتهم.

يعتـبر الخضـوع الإلـزامي لسـيّد ما حالة من حـالات العبودية، بينما يعتـبر الخضـوع الاختيـاري للأب مفخـرة لبنيه. كذلك يُولِّد الخضـوع الإلـزامي لقـانون العمل من أجل الخـــبز الفقر والمـــرض والاســـتياء، لأنه حالة من حـالات العبوديـة، في حين يفـترض أن يجلب الخضـوع الاختيـــاري لها الرضا والصـــحة. والصـــحة هنا صـــحة حقيقية، وليست بعض القطع من الفضة والذهب.

(هاريجان، 29-6-1935، ص156)

***

يعتـــبر الاقتصـــاد ذو العلاقة بالعمل من أجل الخـــبز طريقاً حياً للحيـاة لأنه يعـني أنه يجب على كل إنسـان العمل بنفسه من أجب طعامه ولباسه. لو كان بوسعي إقناع الناس بقيمة وضرورة العمل من أجل الخبز، فلن تبقى أية حاجة للخبز واللباس. ولن أتردد في أن أقـول للشعب، وبثقة، إنّ عليهم أن يجوعوا، ويبقوا عـراةً، إن كانوا لا يعملون في الحقل ولا يغزلون وينسجون.

(هاريجان، 7-9-1947)

***

لا يمكن لأيّ عملٍ يُصنَع باسمه أن يكون صـغيراً لأنّ لكل الأفعال، في هذه الحالة، الدرجة ذاتها من التقدير.

(الهند الفتاة، 25-11-1926، ص414)

***

يجب أن نشعر بالخجل حين نستريح أو نتنـاول وجبة دسـمة، طالما بقي هنـاك أي رجل قـادر أو امـرأة بلا عمل أو طعام.

(الهند الفتاة، 6-10-1921، ص314)

***

لا تســــــــــيئوا فهمي؛ فأنا لا أقلِّل من قيمة العمل الذهني، ولكن لا يغنيـني أي مقـدار من هـذا العمل عن العمل الجسـدي الـذي على كـلٍّ منّا أن يقدِّمه لصـالح الجميـع. إذ قد يكـون، وهو غالبـاً كـذلك، أسـمى بما لا يقاس من العمل الجسدي. لكنه ليس ممكنـاً، لا اليـوم ولا غـداً، أن يحـلّ محلـه، حـتى كغـذاء فكـري، والـذي قيمته أعلى بكثير من تلك الحبوب الـتي نأكلهـا، وليس بوسـعه البتة أن يحل محلهـا. بالفعـل، ما كـان ممكنـاً للعقل أن يستمر من دون ما تنتجه الأرض.

(الهند الفتاة، 15-10-1925، ص ص355 و356)

***

العمل ورأس المال

لقد قلت دوماً إنّ الشيء المثالي بالنسبة لي هو أن يُكمل رأس المـال والعمل بعضـهما بعضـاً، وأن يتعاونا بحيث يشــكِّلا عائلة كبـيرة تعيش في وحــدة وتنــاغم، وعلى الرأســماليين ألاّ يهتمــوا فقط بالرفــاه المــادي للعاملين لديهم، بل أيضاً برعـايتهم المعنوية تمامـاً كما هم مســؤولون بمــوجب ذلك على الرفـــاه المـــادي للطبقات العاملة.

(الهند الفتاة، 20-8-1925، ص285)

***

لا يمكن إلغاء استغلال الفقير بمجرد تــدمير حفنة من أصــحاب الملايين، وإنما بإزالة جهل الفقــراء، وتعليمهم كيفية اللاتعـاون مع مسـتغليهم، مما يسـاعد على تحويل المستغلين أنفسهم. حتى إني اقترحت بأن هذا سيؤدي، في نهاية المطـاف، إلى أن يصـبحوا شـركاء متسـاوين. فرأسال المال بحدّ ذاته ليس شراً، إنما الشرّ يكمن في سوء استعماله. كما أننا سنكون دائماً بحاجة إلى رأسال المال بهذا الشكل أو ذاك.

(هاريجان، 28-7-1940، ص219)

***

لا يوجد حقّ في العالم لا يفترض واجباً يقابلـه. مالك الشـيء لا يُفسد أبـداً ما يملكـه. لـذلك حين تعـرف أن المطحنة مُلك لك بمقـدار ما هي مُلك لأصـحابها، فإنك لن تُعطِّل أبداً ملكيتك. ولن تقوم البتّة بتدمير الثياب أو الآلات لمواجهة خلافك مع أصحاب المطاحن. قاتل، إن كان لا بدّ من ذلك، على درب الاستقامة وسـيكون الله معــك. وأكــرّر أنه لا يوجد طريق ملكي يجعلك تحصل على حقوقك سوى تطهير الذات والمعاناة.

(الهند الفتاة، 4-8-1927، ص248)

***

وسترى مرّة أخـرى، أن المطلـوب القيـام في إطـار مخطط اللاعنف هـذا لا يقل عن... ما هو مطلـوب من الجنــدي العــادي المســلح أن يقــوم به من رأسه إلى أخمص قدميــــه. لأنه حين يســــعى بلا شك إلى قتل وتدمير عدوه، فإنه يحمل حياته على كفه. ما يعني أني أريد من العمل أن ينسخ شجاعة الجندي دون أن ينسخ في الـوقت نفسه جلافتهـا، وتحديـداً أن يقتلـه. لـذلك أقـــترح عليك أن تنظر إلى ذلك العامل الـــذي يواجه خطر الموت وهو أعـزل من السـلاح، ولا حـتى للـدفاع عن نفسه، على أنه يتمتع بشـجاعة أكـبر من تلك الـتي يحملها رجل مسلح من رأسه إلى أخمص قدميه.

(الهند الفتاة، 14-1-1932)

***

حين ســـيعي العمل كرامته ســـيجد المـــال مكانه الصحيح، ما يعني أنه سيصبح مؤتمنـاً عليه للعمـل. لأن العمل أهم من المال.

(هاريجان، 19-10-1935، ص285)

***

أنا لا أعارض تنظيم العمل لكني، ككل الأشـياء، أريد لهذا التنظيم أن يكون على توازٍ مع الخطـوط الهنديـة، أو إن شئتم مع خطوطي، والعامل الهنـدي يعـرف هـذا غريزياً. أنا لا أنطر إلى رأس المال كعدوٍّ للعمـل، وأرى أن تعاونهما ممكن جـداً. فتنظيم العمل الـذي قمت به في جنـوب أفريقيا وششـانماران وأحمد أبـاد لم يكن ينطلق من روح العـداء للرأسـماليين، لأن مقاومة كل حالة، وبالدرجة المطلوبة، كانت ناجحة بالكامل.

(الهند الفتاة، 17-3-1927، ص86)

***

لا أعتقد أنّ من الضروري أن يكون هنـاك أي صـدام بين رأس المـال والعمل لأن كل منهما مسـتقل عن الآخـر. لكن ما هو ضـروري اليـوم هو ألاّ يهيمن الرأسمالي على العامل، لأني أعتقد أن الأيـدي العاملة في المطـاحن تملك مطاحنها بمقـدار ما يملكها حـاملو الأسهم، وعنـدما سـيعي أصـحاب المطـاحن أن الأيـدي العاملة في مطـاحنهم تملكها بمقـدار ما هم يملكونهـا، فإن الخلاف بينهما سيزول.

(الهند الفتاة، 4-8-1927، ص248)

***

لو أنّ كل حـقّ كـان ينبثق من واجب تمّ القيـام به بشكل جيد لكان لا يعوض، ما يعني أني أسـتحقّ راتـبي فقط حين أقوم به بشكل كامـل، لأني حين آخذ راتـبي من دون أن أقـوم بعملي أصـبح لصـاً. فليس بوسـعي المشـاركة بإصـرار مسـتمر على تحصـيل الحقـوق من دون الرجوع إلى تأدية الواجب الذي يجعل تلك الحقوق مستحقة.

(هاريجان، 30-11-1947، ص448)

***

في الإضراب عن العمل

أعلم أنّ الإضـــراب حق طـــبيعي للعمـــال من أجل تحصيل حقوقهم، لكنّ يجب النظر إليه كجريمة بمجـرد ما يوافق الرأسماليون على مبدأ التحكيم.

(الهند الفتاة، 5-5-1920، ص6)

***

شروط الإضراب الناجح سهلة، ولن يفشل الإضراب أبداً إن تأمنت له الشروط التالية:

- يجب أن تكون فكرة الإضراب عادلة.
- يجب أن يتوفر، من حيث المبدأ، إجمـاع عملي بين المضربين.
- يجب عدم استعمال العنف ضد الذين لم يُضربوا.
- يجب أن يكـون المضـربون قـادرين على الاعتمـاد على أنفسـهم خلال فـترة الإضـراب، وألاّ يحتـاجوا أي تمويل من النقابات. لهذا، عليهم إشغال أنفسـهم بعمل مؤقت مفيد ومثمر.

لا يكون الإضـراب هو الحل حين يتـوفر ما يكفي من العمالة للحلول محل المضربين. في مثل هـذه الحالـة، وفي حال المعاملة السيئة أو الأجر غير العـادل، يكـون الحل هو الخضوع.

طبعاً كانت هناك إضرابات ناجحة لم تتأمّن فيها مثل هذه الشروط، ما يدلّ على أنّ أصحاب العمل كانوا إما ضـعفاء أو إنّ ضـميرهم كـان مثقلاً. لكننا نخطىء جـداً حين نقلّد الأمثلة السيئة؛ فالأسـلم عـدم نسخ أية أمثلة لا نعرف عنها كل شيء، بل علينا اتِّبـاع الشـروط الـتي نعلم ونعترف بأنها أساسية للنجاح.

(الهند الفتاة، 16-2-1921، ص ص52–53)

***

يفترض أن يكون الإضراب السلمي محصوراً بالـذين يشـملهم نفس التظلّم الـواجب تصـحيحه. وهكـذا، إن قام الصُّناع المنافسون من عمـال تمبوكتـو، المكتفـون بما يحصـــلون عليـــه، بالإضـــراب تضـــامناً مع عمـــال المطـاحن الـذين يحصـلون على أجـور متدنيـة، فـإن إضراب الصنّاع المنافسين سـيكون نموذجـاً عنفيـاً لأن عليهم أن يسـاعدوا بطريقة أكـثر فعالية كـأن يسـحبوا اعترافهم من أصحاب المطـاحن في تيمبوكتو من دون أن يعرّضوا أنفسهم لتهمة العنف.

لكن من الممكن تخيّل مناســبات يكــون فيها غــير المظلومين بشكل مباشر مجبرين على إيقاف العمــل، كأن يتم على سـبيل المثـال تحـالف أصـحاب المصـانع المنافسة مع أصحاب المطـاحن في تيمبوكتـو، عندئـذٍ، يكون واجباً بوضوح على عمـال المصـانع المنافسة أن يتضامنوا مع عمال المطاحن. لكنّ ما اقترحته هو فقط من باب المثـال، لأن من الـواجب في النهاية أن تعطى كل حالة ما تستحقه من دراسة. لأنّ العنف قوة خبيثة، ولأنّه ليس من السـهل تلمّس وجـوده دائمـاً، وإن كنت تشعر به في نفس الوقت.

(الهند الفتاة، 18-11-1926، ص400)

***

لن أشارك، في أي حـال من الأحـوال، وبغض النظر عن اللاعنـف، في إضـراب عـام يهـدف إلى الإسـتيلاء على السلطة.

(هاريجان، 28-7-1946، ص237)

***

كيف يجب على رأس المـــال أن يتصـــرف تجـــاه الإضرابات العمالية؟ السـؤال مطـروح، وله الكثـير من

الأهمية في الأوقـات الراهنـة. إحـدى الطـرق هي تلك المسماة بالأمريكيـة، وهي عبـارة عن إلغـاء العمل عن طريق الغوغائية المنظمــة. والجميع يتفق على اعتبــار هــذه الطريقة خاطئة ومــدمرة. أما الطريقة الأخــرى، الصحيحة والمحترمة، فهي تقتضي معاملة كل إضـراب كما يستحق، وإعطاء العمل حقه، ليس وفقـاً لما يـرى رأس المــال أنه حق لــه، إنما وفق ما يســتحقه العمل كعمل ويراه الرأي العام المستنير حقاً..

مع تقدم الوقت، يصبح عالم العمل أكـثر إلحاحـاً في مطالبه الـتي تـزداد كل يـوم، وهو لا يـتردد في اللجـوء إلى العنف من أجل تحقيق هـــــذه المطـــــالب. وقد استعملت طـرق جديـدة لـدعم تلك المطـالب، حيث لا يــتردد العمــال في الإســاءة إلى ممتلكــات أصــحاب العمل، وتخريب الآلات، والتعدي على الكبار في السن، وعلى النساء، الـذين لم يلتحقـوا بالإضـراب، وقسـرهم على اســـتبعاد مفســـدي الإضـــراب. في مثل هـــذه الظروف، كيف يجب أن يتصرف أرباب العمل؟

... نصيحتي لأرباب العمل هي أن يتعاملوا بكل طيبة خاطر مع العمال كملاك حقيقــيين، وخاصــةً فيما يتعلق بمشاكل يتوهمون أن أرباب العمل قد تسببوا بها، لا بل أن يذهبوا أبعد من ذلك بحيث يعتـبروا أنّ عليهم تقـديم تربية صحيحة للمسـتخدمين، تربية توقظ الـذكاء النـائم في أعماقهم، وترحب بسرور بتلك القوة الـتي أعطيت لهم، والناجمة عن ذلك التضامن العمالي.

لا يمكن لأرباب العمل القيـام بعمـل نبيـل كهـذا مثل بين ليلة وضــحاها. وفي هــذه الأثنــاء مــاذا يجب على الذين يواجهون مطرقة المضربين أن يفعلـوا؟ من دون تــردد، تــراني أنصح أصــحاب العمل هــؤلاء بــأن عليهم المباشرة بتفضيل المضربين على أنفسـهم، وأن يخلـوا

ممتلكـاتهم ليس تحت التهديـد، إنما لأن هـذا صـحيحاُ، ولكي يظهروا حسن نواياهم، أن يقـدّموا لمسـتخدميهم مساعدة مهندسـيهم ومـوظفيهم الأكفـاء. وسـرعان ما سيكتشف أربــاب العمل أنهم لم يخســروا شــيئاً في نهاية المطـاف. حقـاً، سـينزع عملهم الصـحيح سـلاح معارضيهم، ويمنحهم مباركة عمـالهم، لأنهم اسـتخدموا رأسمالهم بشكل صحيح. وأنا لن أعتبر هذا العمل عمل خـــــير بل هو اســــــتخدام ذكي للمــــــوارد من قبل الرأســماليين، وتعامل نزيه مع المســتخدمين، الــذين حوّلوهم إلى شركاء حقيقيين.

(هاريجان، 31-3-1946، ص60)

***

من يفلح الأرض

إن كـان للمجتمع الهنـدي أن يتطـور تطـوراً حقيقيـاً على دروب آمنـــة، فيجب على الطبقة الموســـرة أن تعترف بـأن للفقـراء نفس الـروح الـتي يملكونهـا، وأن ثروتهم لا تعطيهم حق التعالي على الفقــراء. عليهم أن ينظروا إلى أنفسهم، تمامــاً كما فعل النبلاء اليابـانيون، كمؤتمــنين يحــافظون على ثـــروتهم لصــالح الـــذين يحرسونهم، أي الفقراء. عندئذٍ، لن يأخذوا من عمّــالهم إلاّ عمولة بســـيطة. أما الآن، فلا يوجد أي تناسب بين كل هـذا البهـرج غـير الضـروري والمبـالغ فيه للطبقة الموســـرة وبين البـــؤس المحيط والفقر الشــــديد والطاحن للفقراء، الذين يعيش الأغنياء في وسـطهم... لو كــان بوسع الطبقة الغنية أن تقــرأ فقط مؤشــرات الأزمنة، فتعيد النظر بمفاهيمها التي تعطيها حقــاً إلهيـاً في ممتلكاتهــا؛ فعندئــذٍ، وخلال فــترة قصــيرة جــداً، سـتتحول السـبعمائة ألف كـوم من الـروث الـتي تفي

اليــوم بــالغرض كقــرى، إلى معابد للســلام والصــحة والرفاهية.

لأني مقتنع بــأنّ الرأســمالي الهنــدي، إن اتَّبع مثــال الســاموراي اليابــاني، لن يخسر شــيئاً وســيربح كل شيء. إذ ما من خيــار آخر بين تخلّي الرأســماليين عمّا هو فـائض لـديهم، ما يعـني السـعادة للجميع من جهـة، وبين الفوضى، إن لم يستفق الرأسمالي بسرعة، التي ستحصل على يد الملايين الجائعة، المتيقظة والجاهلـة، فتغرق البلد بفوضى لا يمكن لكل القوة المسلحة التي بوسع الحكومة جلبها أن تتلافهــا. وأملي هو أن يكــون بوسع الهند تلافي الكارثة.

(الهند الفتاة، 5-12-1929، ص396)

***

الحلم الــــذي أتــــوق لتحقيقه ليس نهب الملكية الخاصــة، وإنما حــدّ التمتع بها بحيث يكــون بالإمكــان تجنّب الفقر الشــديد وما ينتج عنه من غضب وتنــاقض بشــع، كما هي عليه الحــال اليــوم، بين حيــاة ومحيط الغـني والفقـير. لأنّ على الآخـرين أن يشـعروا بـأنهم شركاء مُلاّك الأراضي وليس عبيدهم. وأن يصبح العمل جميلاً إلى أقصى حــد، ما يجنبنا حــالات الابــتزاز الــتي تحصل في كل المناسبات.

(الهند الفتاة، 2-11-1929، ص384)

***

قــرأت قبل ســنوات قصــيدة تصف الفلاح بأنّه مَلك العالم. لو أنّ الله كان العاطي فإنّ المزارع هو ذراعه، فما الذي يجب أن نفعل لنفي الدين الذي علينا تجاهــه، خاصةً وأننا نحيا من عرق جبينه؟.

(هاريجان، 25-8-1946، ص281)

***

الخيار الذي يسبق العمل

في قلب الصـــراع الـــدائر بين رأســـال المـــال والعمل بوسعنا القول إنّ الرأسماليين هم غالباً في المربع الخطأ. أما عنـــدما يتمكن العمل من تحقيق قوته بشـــكل كامـــل، فأنا أعرف أنّ من الممكن أن يصبح أكثر طغياناً من رأس المـال. حيث يصـبح متوجبـاً على أصـحاب المطـاحن أن يعملـوا وفق الشـروط الـتي يمليها العمـل، إن تمكن هـذا الأخير من السيطرة على المخابرات. رغم أنّ من الواضح أنّ العمل لن يتمكن من ذلـــك، لأنه لو تمكن من ذلك فلن يعـود عملاً بل سيصـبح سـيداً. والرأسـماليون لا يحـاربون بقوة مالهم فقط، لكنهم يملكون أيضاً الـذكاء والبراعـة... لهذا انتشر فريق ثـالث بين هـذين الفـريقين، وأصـبح هـذا الفريق صـديقاً للعمـال. وهنـاك حاجة لمثل هـذا الفريـق، شرط أن تكون صـداقته للعمـال خالية من الأغـراض، لأنه غالباً ما يستخدم العمال اليوم كرهينة، وبأكثر من طريقة. والفرصة هنا هي بين أيـــدي أولئك الـــذين يعملـــون في السياســـة؛ فما الـــذي ســـيختارونه؟ مصـــالحهم الخاصة أم مصـــــالح العمل والأمـــــة؟ لأن العمل بحاجة ماسّـــــة إلى أصدقاء، وليس بوسعه الاسـتمرار من دون قيـادة. ونوعية الأشـخاص الـذين سـيقودون هي الـتي سـتحدد شـروط العمل. فالإضرابات وإيقاف العمل والتظاهر أشياء رائعـة. هذا لا شك فيـه. لكن ليس من الصـعب اسـتغلالها، لـذلك يجب على العمال أن ينتظموا في نقابـات، وأن لا يضـربوا بأي شكل من دون موافقة هذه النقابـات. كما يجب أن لا يباشَر بأي إضـراب قبل التفـاوض مع أصـحاب المطـاحن؛ فـإذا لجأ هـؤلاء إلى التحكيم، عندئـذٍ يسـود مبـدأ مجلس الحكماء ("البانشـايات"، بالسنسـكريتية). وبمجـرد أن يتم الاتفـاق على المجلس، يتـوجب أن تُقبل قراراته من قبل الطرفين على حدٍّ سواء، أيّاً كانت تلك القرارات.

(الهند الفتاة، 11-2-1920، ص ص7و8)

الفصل التاسع

الرخاء للجميع (سارڤودايا)

في إنجيل الرخاء للجميع

إن كـان علينا خدمته أو التمـاهي معـه، فـإن عملنا يجب أن يكـون دؤوبـاً كعملـه. من الممكن أن تسـتريح قطرة الماء حين تكون بعيدة عن المحيط، لكن بمجرد أن تصبح جزءاً من المحيط فإنها لن تعرف الاسـتراحة. الأمر نفسه فيما يتعلق بنـا؛ فبمحـرد أن نتمـاهى مع شكل المحيط الإلهي لن نعرف معنى الاسـتراحة، ولن نحتاج إليها بـالأحرى. لأنّ حـتى نومنا سـيكون فعلاً بحد ذاته، حيث سننام وأفكار الله في قلوبنـا. هـذا التململ هو الراحة الحقيقية لأن هـذا الحـراك المسـتمر يحمل في قلبه سلاماً لا يوصف، وهذه الحالة من الاستسـلام الكامل أصعب من أن توصف، لكنها ليست خارج حدود التجربة الإنسـانية؛ فقد قاربتها العديد من النفـوس المكرّسة، وبوسعنا نحن أيضاً مقاربتها.

(من يرافدا مندير، توجه الأشرام، ص47)

***

يجب أن يتمحـور كل نشـاطنا حـول الحقيقة لأنّ الحقيقة يجب أن تكـون متنفسـنا الوحيـد، وعنـدما يبلغ الحـاجّ هـذه المرحلة من تطـوره تصـبح بـاقي قواعد الحياة الصحيحة كلها يسيرة، ويصـبح اتّباعها غريزيـاً، إذ ليس بوسـعنا، من دون الحقيقـة، اتِّبـاع أيّ مبـدأ من مبادىء الحياة.

(ص 2)

***

لا يمكن للبـــاحث عن الحقيقـــة، الـــذي يتّبع طريق المحبة، أن يضمر شيئاً ضد الغـد، لأن الإله لا يـؤمّن لنا الغد البتـة؛ فهو لا يخلق أبـداً أكـثر مما نحتاجه تحديـداً ليومنـــا. وإن كنا نـــؤمن فعلاً بعنايتـــه، فـــإن علينا أن نستريح متأكدين من أنه سيزوّدنا كل يـوم بخـبز يومنـا، وبالقدر الذي نحتاجه.

(الهند الفتاة، 4-9-1930، ص1)

***

الهـدف الأسـمى للإنسـان هو تحقيق الألوهـة، لـذلك فــإن كل نشــاطاته، الاجتماعية والسياســية والدينيــة، يجب أن توجهها هـــذه الغاية العظيمة للرؤية الإلهيـــة. وهـــذا يجعل الخدمة المباشـــرة لجميع البشر جـــزءاً ضرورياً من المسعى لمجرّد أنه جزء من طريقة إيجـاد الله من خلال خليقته، والتمـاهي معهم. وهـذا يتم فقط عن طريق خدمة الجميع لأني جـــزء وقطعة من كـــل، ولأنْ ليس بوسعي أن أجده بمعزل عن باقي الإنسانية.

أبناء بلـدي هم أقـرب جـيراني. وقد أصـبحوا بلا أمل ولا مـورد وخامـدين ما يـدفعني لأن أكـرّس كل جهـدي لخدمتهم. لو كان بوسـعي إقنـاع نفسي بـأني أسـتطيع إيجاده في كهف في الهيملايا، فإني سأتوجه إلى هنــاك مباشرة، لكني أعرف أن ليس بوسعي أن أجده بمعزل عن الإنسانية.

(هاريجان، 29-8-1936، ص226)

***

من يبحث عن الفقير، ويدعو سواه للتصرف بطريقة مماثلة، يخدم الله أكثر مما يخدمه أي شخص آخر. لأنه كما قالت الباغاڤادغيتـا: "قطعة فاكهة صـغيرة أو وردة أو حــتى ورقة نبتة لــروح بهــاختي" وأقــام حيث يعيش المتواضع والأحقر والضائع "هو خـادمي". هـذا ما يجعل

العمل على المغزل يكافىء أكبر صلاة، وأكـبر فضـيلة، وأكبر تضحية.

(الهند الفتاة، 24-9-1925، ص ص 331-332)

***

لا يمكن التمـــاهي مع كل شـــيء حي ما لم نطهر أنفسنا. ما لم نطهر أنفسنا يبقى اتّباع تعـاليم الآهيمسا كـالحلم الفـارغ؛ فالألوهة لا يمكن أن تتحقق داخل من لم يكن طاهر القلب. لذا فإن تطهير الذات يشـمل كل مجالات الحياة. ولما كانت الطهارة معدية، فإن تطهـير النفس سرعان ما ينتشر في محيط صـاحبه. لكن درب الطهارة صعب وقاس، حيث للوصول إلى طهارة كاملة يتوجب على المرء أن يصـبح متحـرراً من الانفعـال في الفكر والكلام والفعـــل، وأن يـــترفع عن التيـــارات المتصارعة للحب والكراهية، والتعلق والرفض. وأعرف أني لم أحقق بعد في نفسي مثل هذه الطهـارة المثلثة رغم سعيي الدؤوب، والذي لا يتوقف، في سبيلها. لهذا ليس بوسع إطراء العالم أن يزحزحني، وإن كان أحياناً يلســعني. الســيطرة على العواطف الخبيثة تبــدو لي أصعب من فتح العالم بقوة السلاح.

... لقد كــانت لي تجــارب مع تلك العواطف الدفينة في داخلي، وقد أشـعرني التعـرف إليها بالخجـل، رغم أنها لم تهزمــني. كما أن التجــارب والامتحانــات الــتي مــررت بها قوَّتــني ما أشــعرني بســعادة كبــيرة، رغم معرفــتي بــأنّ أمــامي طريق طويل لأقطعه في هــذا السياق، حيث علي أن أحـوِّل نفسي إلى لا شـيء. لأنّ الإنسان ما لم يجعل من نفسه، وبإرادته الذاتية، الأخير بين المخلوقـــات، فلن يحقق الخلاص. والآهيمسا هي أبعد حدود التواضع.

(سيرة ذاتية – أو قصة تجربتي مع الحقيقة، ص371)

***

يقولون إنَّ "الوسـائل هي في نهاية المطـاف مجـرد وسـائل". وأنا أقـول بـالأحرى: "إنّ الوسـائل هي في نهاية المطاف كل شيء". والغايات أيضاً كالوسـائل.... حيث لا يوجد جدار يفصل بين الوسـيلة والغايـة. وفعلاً، أعطانا الخـالق إمكانية التحكم بالوسـائل (وإن كـانت هـذه أيضـاً محـدودة جـداً)، لكنه لم يعطنا أية إمكانية للتحكم بالغايـــات. ما أقوله هو اقـــــتراح لا يقبل أي استثناء.

(الهند الفتاة، 17-7-1924، ص ص236–237)

***

الـواجب هو الينبـوع الحقيقي للحقـوق؛ فـإن قمنا جميعنا بواجباتنا، لن تكـون الحقـوق بعيـدة المنـال. أما حين نـدع واجباتنا جانبـاً ونسـعى وراء حقوقنـا، فإنها ستهرب منّا كورقة في مهب الريح. وكلّما لاحقناه أكـثر كلّما هـربت منا أكـثر. وهـذا يتطـابق مع التعليم الخالد لكريشـنا في هـذه الكلمـات الخالـدة: "الفعل بحد ذاته واجب، أما الثمرة فهي حق".

(الهند الفتاة، 8-1-1925، ص ص15و16)

***

فلسفة الياجنا (التضحية)

الياجنا هي الفعل الـذي غايته رفاهية الآخـرين، ذلك الذي نفعله دون مقابل، مادي أو معنوي. و"الفعـل" هنا يجب أن يؤخذ بمعنـاه الأوسـع، وهو يشـمل الأفكـار والأقوال، وكذلك الأفعال. كما أن هناك أفعال لا تشمل الإنسانية فقط، إنما أيضاً الحياة ككل.

وأيضـاً، يجب أن تكـون التضـحية الأولية عملاً يقـود إلى تحقيق أقصى الرفـاه لأكـبر عـدد من النـاس، في أوسع مسـاحة ممكنـة، والـذي يمكن أن يقـوم به أكـبر

عدد من الرجال والنساء بأقـلّ الأضـرار. ما يعـني، أنها ليست تضـــحية (ياجنـــا)، وبـــالأحرى تضـــحية كـــبرى (ماهاياجنا)، أن تتمنى الأذية، أو أن تلحقها بـأي شـخص آخـر، حـتى ولو كـان ذلك في سـبيل مصـلحة أعلى. وتعلّمنا (الغيتـا)، كما تؤكد التجـارب، أنّ كل الأفعـال، التي لا يمكن أن تُصنَّف على أنها ياجنا، تُعزِّز الاستعباد. من هـذا المنظـور ليس بوسع العـالم أن يسـتمر، ولو للحظة واحـدة، من دون تضـحية، وبالتـالي فـإن الغيتا التي تعاطت مع االحكمة الحقيقية، في الفصل الثـاني، تعـاطت، في الفصل الثـالث، مع طرائق الوصـول إليها مؤكِّدةً، من خلال كلمات كثـيرة، أنّ التضـحية (الياجنـا) كانت موجودة منذ بداية الكون. فهـذا الجسد أعطي لنا لكي نخدم به الخليقة. وبالتالي، كما تقـول الغيتـا، فـإنّ كـــلّ من يأكل من دون تضـــحية إنما يأكل طعامـــاً مسروقاً، وإنّ كل عمل يهدف إلى تحقيق حياة طـاهرة يجب أن يتَّسم بالتضحية (بالياجنا).

ولما كـــانت التضـــحية قد جاءتنا مع ولادتنـــا، فإننا مَدينون لها طيلة حياتنا، وملزمـون بخدمة هـذا العـالم. فكما يكـون العبد الـذي يتلقى الطعـام واللبـاس من سيده ملزم بأن يخدمه، علينا بكل امتنان أن نقبل هـذه الهبـات المقدمة لنا من قبل سـيد الكـون؛ فما نتلقـاه يجب أن نتعامل معه كهبة، وهـذا يعـني أننـا، كمَـدينين، ملزمين بـأن لا نهمل التزاماتنـا. ما يعـني وجـوب عـدم لوم السيد إن لم فشلنا في تحقيقهـا؛ فأجسـادنا، الـتي هي ملك لـه، يجب أن يُعتـنى أو يضـحّى بها إذا كـانت هذه هي مشيئته. وهذا لا يستدعي التـذمر ولا الشـفقة بـل، بـالعكس، هي حالة ممتعة ومرجـوة أن نتمكن من تحقيق مكانتنا في قلب المخطط الإلهي. ونحن نحتـــاج إلى إيمان قوي بحقّ إن كنّا نرغب في أن نجرّب نعمته

اللامتناهية. "لا تقلق على نفسك، ودع الأمر لله"- هـذه على ما يبـدو، وصـية كافة الأديـان. ولا ينبغي لهـذا أن يخيف أحـداً، لأن من يكـرّس نفسه للخدمة سـيتفهم، يوماً بعد يوم، ضرورتها (التضحية) في مجـالات أوسـع، وسـيزداد إيمانـه. ودرب الخدمة لا يمكن أن يطـأه من لم يتخلى عن مصالحه الذاتية، ويتعرف إلى اشتراطات ولادته. وكـلٌّ منّـا، سـواء بشـكل واع أو من دون وعي، يُقـدِّم بعض الخـدمات، لكننا إذا ما عوَّدنا أنفسـنا على تقديم الخدمة بشـكل طـوعي، فـإن رغبتنا في الخدمة ستصـبح أقـوى، وهـذا لا يحقق سـعادتنا فحسـب، وإنما أيضاً سعادة العالم برمّته.

(من ياراهما مندير، توجه الأشرام، ص ص53-56)

***

لن يفكر من يخـدم طوعـاً، لن يفكّر بسـلواه الـتي يدعها لمشـيئة ربه الـذي في الأعـالي، ما يعـني أنه لن يشغل نفسه بما قد يعترض طريقه بل سـيأخذ فقط ما يحتاج إليه ويدع الباقي. وسيكون هادئاً سلساً، لا يعرف الغضب حين يفكر حـــتى وإن صـــدف أن وجد نفسه متضايقاً، لأن خدمتـه، كفعاليتـه، هي مكافأته الوحيـدة، وسيكون سعيداً بها.

وكـذلك، يجب أن لا يتجـرأ أحد على أن يهمل واجبه أو يتخلف عنـــــه. فمن يعتقد أن عليه أن يهتم بعمله الخاص فقط، تاركاً القيـام بالعمل العـام لـوقت لآخـر، ليقوم به بالطريقة التي يختارهـا، ما زال عليه أن يتعلم بـــدائيات فعل التضـحية. لأنّ خدمة الآخــرين بصــورةٍ طوعية تتطلب منّا أن نعطي أفضل ما عنـــــدنا، لا بل يجب أن تسبق خـدمتنا لأنفسـنا. ما يعـني أن المتطـوع الحقيقي يكـــرّس نفسه لخدمة الإنســـانية، دون أي تحفظ.

(المرجع نفسه، ص ص57-60)

هذه الحضارة الشيطانية

أريد النمو وأريد الحكم الـذاتي والحريـة. لكـني أريد هـــذه الأمـــور كلها من أجل الـــروح لأني أشك في أن العصر الحديدي يُعدُّ تقـدماً على عصر الصـوان. هـذا لا يهمـني، إذ أعتقد بـأن العقل يجب أن يكـرَّس، قبل كل شيء، لتطوير الروح.

(الهند الفتاة، 13-10-1921، ص325)

***

أودُّ لو يعلِّمنا قادتنا كيف يمكن أن نتفوق أخلاقياً في هذا العـالم، خاصـةً وأن أرضـنا هـذه كـانت، ذات يـوم، مسكناً للآلهة، وخاصةً، أيضـاً، أننا لا نسـتطيع أن نتخيلَ كيف يمكن للآلهة أن تســـكن أرضـــاً شـــوهها دخـــان المصــانع وضوضــاء المصــانع، وتخـترق طرقها آليـات مزمجرة تجـرّ العديد من العربـات المزدحمة بأنـاس لا يعرفـون، في نهاية المطـاف، عَمَّ يبحثـون، أنـاسٌ هم على الأغلب شاردوا الفكـر، ومـزاجهم العَكِر غـير قابل للتحســـن، ومحشـــورون في علبٍ كالســـردين، حيث يجدون أنفسـهم وسط غربـاء كـان بـودِّهم طـردهم لو استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، أو أن يُطرَدوا هم من قبلهم. أذكر هـذه الأشـياء لأنها تعتـبر رمز الحضـارة الماديـة، لكنها لم تضف مثقال ذرة إلى سعادتنا.

(خطب ومقالات للمهاتما غاندي، ص ص354–355)

***

أكـــره، من كـــلّ قلـــبي، هـــذه الرغبة المجنونة في تحطيم المســـافات والـــزمن، وفي زيـــادة شـــهواتنا الحيوانية والذهاب إلى أصقاع الأرض بحثـاً عن تلبيتهـا. إذا كـانت هـذه هي الحضـارة الحديثـة، أو إن كنت قد

فهمتها على هـــذا النحـــو، فـــإني أدعوها حضـــارة شيطانية...

(الهند الفتاة، 17-3-1927، ص85)

***

سيأتي وقت، بالنسبة لأولئك الـذين، عـبر انـدفاعهم الجنوني من أجل مضاعفة حاجياتهم، اعتقدوا بـأنهم قد أضـــافوا شـــيئاً إلى جـــوهرهم الحقيقي، وزادوا من معـرفتهم الحقيقية لهـذا العـالم، يعـاودون فيه السـير على خطـاهم، ويتسـاءلون: ما الـذي فعلنـاه يا تـرى؟ الحضارات تـأتي وتـذهب، ورغم كل تقـدّمنا المزعـوم، يراودني أيضاً وأيضاً تسـاؤل يقـول: "من اجل مـاذا؟"، وهو نفس ما قاله والاس، أحد معاصـــري داروين. بعد خمسين عامـاً من الاختراعـات والاكتشـافات المُبهـرة، قـــال إنها لم تضف مثقـــال ذرة للســـمو الأخلاقي للإنسـانية. كـذلك قـال أيضـاً حـالم وصـاحب رؤية إن شـئتم – تولسـتوي. كـذلك قـال أيضـاً يسـوع وبـوذا ومحمـد، الـذين يتمّ تشـويه ديانـاتهم اليـوم في الهند بلدي.

***

أنا متواضع إلى حد يكفي لأعترف بـأنّ هنالك الكثـير الذي بوسـعنا أن نتعلمه لصـالحنا من الغـرب. فالحكمة ليست حكـراً على قـارة معينـة، ولا على عـرق محـدد. لكن مقـــاومتي للحضـــارة الغربية هي في الحقيقة مقاومة لتقليـدها بشـكل أعمى وبلا تفكـير من منطلق أننا كأسيويين ليس بوسعنا أن نفعل سوى تقليد كل ما يأتينا من الغـــرب. لأني أعتقد أن الهند تملك ما يكفي من الصبر لتتجاوز نار كل المحن، وتقاوم أي زحف غير نزيه على حضـارتها. وأنّ بوسـعها، رغم كل ما يقـال،

وكما فعلت حتى الآن، الوقوف في وجه أضرار الزمن، فتساهم في صنع السلام والتطور في هذا العالم.

(الهند الفتاة، 11-8-1927، ص253)

***

الإنسان والآلة

أنا مقتنع، بشكل كامل، بأنّه حين تزول كل منجـزات عصر التقنية ســتبقى الأعمــال اليدويــة، وحين يــزول الاســتغلال ســتبقى الخدمة المخلصة والعمل المخلص. وبســبب إيمــاني هــذا، أســتمر في عملي... لقد كــان الإيمان الذي لا يقهر لكلّ من ستيفنسون وكولومبــوس هو ســـندهم في عملهم. والإيمـــان بعملي هو ســـندي الرئيسي.

(هاريجان، 30-11-1935، ص329)

***

لو كـــانت الأمـــور مثالية لكنت اســـتغنيت عن كل الآلات، كما كنت اســـتغنيت عن هـــذا الجسد الـــذي لا يســاعدني في خلاصــي، ولســعيت إلى تحــرر الــروح تحرراً كليّـاً. من هـذا المنظـور، أرفض كل الآلات، لكن الآلات ستبقى لأنه لا يمكن تجنبها. والجسد بحد ذاتـه... آلة مثاليـة؛ لكنه حين يصـبح عائقـاً أمـام تحليق الـروح يغدو الاستغناء عنه أمراً ضرورياً.

(الهند الفتاة، 20-11-1924، ص386)

ما أعــترض عليه هو جنــون الآلــة، وليس الآلة بحد ذاتها. هذا الجنون الـذي سـببه ما يدعونه توفـير العمل والمال؛ فالنـاس يسـتمرون في "توفـير العمـل" بحيث يصبح الآلاف بلا عمـل، فـيرمون بهم في الشـارع حيث يموتون جوعاً. وأنا أيضاً أريد الاقتصاد بالوقت والعمـل، لكن ليس من أجل حفنة من النــــاس، وإنما من أجل الإنسانية ككل. يجب أن تكون الغاية توفير عمل الفرد،

لا أن يكــون الجشع الإنســاني هو الــدافع. لهــذا، مثلاً، تـــــراني أرحِّب، في أي وقت، بآلة لتجليس المغــــازل الملتوية. ليس من أجل أن يصبح الحدادين بلا عمل فلا يعودون يصنعون المغازل؛ حيث سيسـتمرون في صـنع المغازل، لكن عندما تتعطل هذه المغازل سـيكون لكل مغــزل آلة لتصــليحه. لــذا؛ فلنســتبدل المحبة بالجشع وسيكون كل شيء على ما يرام.

(الهند الفتاة، 13-11-1924، ص378)

***

المكننة أمــرٌ جيد حين تكــون اليد العاملة غــير كافية للقيام بالعمل المطلوب، لكنها تصـبح شـراً حين تكـون اليد العاملة الضـرورية للقيـام بالعمل أكـثر من اللازم، كما هو الحال في الهند. فالمشكلة، بالنسبة لنا، ليست في تأمين أوقـات راحة للملايين من سـكان قرانـا، إنما في الاسـتفادة من سـاعات فـراغهم الـتي تعـادل، من حيث أيام العمل، ستة أشهر في السنة.

(هاريجان، 16-11-1934، ص316)

***

لا يهتم الإنتـــاج الشـــامل بالمتطلبـــات الحقيقية للمستهلك، لأنه لو كان الإنتـاج الشـامل جيـداً بحد ذاته لكان بوسعه التنوع إلى ما لا نهايــة، لكنّ ما نلاحظه هو أنّ لهذا الإنتاج محدودياته الخاصــة. كما أنّه لو تبنت كل الـدول هـذا النـوع من الإنتـاج لما كـانت هنـاك أسـواق كافية لمنتجاتها، وهذا يعـني أن الإنتـاج الشـامل سـوف يتوقف عندئذٍ.

(هاريجان، 2-11-1934، ص301)

***

لا أريد للثروة أن تتركّز بين أيدي قلّة من الناس، بل أن تكون في متناول الجميع. تساعد الآلة اليوم قلّة من

الناس على الركـوب على ظهر الملايين. والـدافع لهـذا ليس الإحسـان بهـدف توفـير العمل إنما الجشـع. وأنا أناضل بكل قوتي ضد هذه الأوضاع.

(الهند الفتاة، 13-11-1924، ص378)

***

عنـدما يتمركز الإنتـاج والاسـتهلاك سـيزول إغـراء تسريع الإنتاج بشكل مستمر وبأي ثمن، وستنتهي أيضاً كل صعوبات ومشاكل نظامنا الاقتصادي الحالي..، ولن يكون هناك تراكم غير طبيعي للكثروة في جيوب قلـة، وعوز يعاني منه الأكثرية بسبب الأقلية...

في النظـام الـذي أنـادي به سـيكون العمل عملة التبادل وليس المعدن. عملة تكون هي الثروة، ويملكها كل من في وسـعه اسـتغدام قـوة عملـه، حيث يحـول قوته إلى ملابس وإلى حبـوب. وإذا احتـاج إلى زيت البارافين، الـذي ليس بوسـعه إنتاجـه، يسـتطيع مبادلته بما لديه من فـائض الحبـوب. إنه تبـادلٌ للعمل وفق شـروط حـرة وعادلة ومتسـاوية – من منطلق أنها ليست لصوصـية. قد تعترضـون قـائلين بـأنّ ما أطرحه مجرّد نسخ لنظام المقايضة القـديم. ولكن، أليست كل التجارة الدولية قائمة على نظام المقايضة؟

(هاريجان، 2-11-1984، ص302)

***

ما هو سبب هذه الفوضى الحالية؟ إنه الاسـتغلال. لا أقصد هنا اسـتغلال الأمم القوية لتلك الأضـعف منهـا، إنما الأمم الشقيقة لبعضها بعضـاً. واعتراضي الرئيسي على المكننة مـردّه أنّ هـذه المكننة هي الـتي مكّنت الأمم من اسـتغلال بعضـها بعضـاً. لأنها في النهاية مثل الأشياء الخشـبية الـتي من الممكن أن يحسن أو يُسـاء استعمالها، لكنها، بسهولة وكما نعلم، يساء استعمالها.

(الهند الفتاة، 22-10-1931، ص318)

***

أُقيّم عالياً كل اكتشـاف يتمّ من أجل الصـالح العـام، لكن هناك فرق بين اختراع واختراع؛ فلستُ مثلاً لستُ بتلك الغـازات الخانقة الـتي بوسـعها قتل أعـداد كبـيرة من البشر خلال فــترة قصــيرة. حيث تســتخدم الآلات الثقيلة من أجل الأعمال التي لا يسـتطيع البشر القيـام بهــا، شــريطة أن تكــون ملكيتها للدولة وأن تســتخدم للصالح العام.

(هاريجان، 22-6-1935، ص146)

***

لعنة التصنيع

من الجيد أن نـؤمن بالطبيعة الإنسـانية، وأنا أحيا لأن عندي إيمان كهـذا. لكنّ هـذا الإيمـان لا يُعمي بصـيرتي عن واقع تاريخي يقول، ورغم أن كل شيء يبقى جيـداً في النهاية، إن أشخاصاً ومجموعات سـبقتنا، ونسـميها أممــاً، قد بــادت. فروما واليونــان وبابل ومصر وغيرها الكثـير هي شـهادات حية تؤكّد واقع أن أممـاً قد بـادت في السابق بسبب آثامها.

ما نأمله في هذا السـياق هو أن أوروبـا، من منطلق ثقافتها العلمية الجيــدة، ســتتبين ما هو واضح وتعــاود السـير على خطاهـا، فتجد المخــرج الضــروري لهــذه التقانة المخيبة للآمـال. وليس ضـرورياً أن يحـدث هـذا من خلال العـــــودة إلى البســــاطة القديمة المطلقة بالكامــل. إنما يجب أن يكــون هــذا الطريق من خلال حيـاة يسـودها الشـكل الـريفي، وتخضع القـوة المادية الغاشمة فيها للقوة الروحية.

(الهند الفتاة، 6-8-1925، ص273)

***

مستقبل التصنيع قاتم؛ فلإنكلترة الآن منافسون ناجحون يتمثلون في أمريكا واليابان وفرنسا وألمانيا، كما تنافسها أيضاً حفنة من المطاحن في الهند. فقد كان هناك يقظة في الهند، كما ستكون يقظة في جنوب أفريقيا الأغنى منها بكثير من حيث الموارد الطبيعية والمعدنية والبشرية. حيث يبدو الإنكليز بجبروتهم كالأقزام مقارنة بالعرق الأفريقي الجبار. وقد تقولون معترضين، إنّ هؤلاء مجرّد متوحشين نبلاء. إنهم نبلاء حتماً، لكنهم ليسوا بالمتوحشين؛ وخلال سنوات ربما لن تجد الأمم الأوروبية في أفريقيا مجرّد أرض تُغرق أسواقها ببضائعها. لذلك، إذا كان مستقبل التصنيع قاتماً بالنسبة للغرب، فكيف سيكون بالأحرى بالنسبة للهند؟

(الهند الفتاة، 12-11-1941، ص335)

***

كلّما أمعنت النظر في روسيا، حيث بلغ تأليه التصنيع ذروته، أجد أن الحياة هناك لا تغويني. ومستخدماً لغة الكتاب المقدس حيث جاء: "ماذا يفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟"، بتعابير حديثة، أقول إنّ من المهين للإنسان أن يفقد شخصيته ليصبح مجرد قطعة ثانوية في قلب آلة، لأني أريد لكل فردٍ أن يصبح عضواً كامل الحضور والتطور في المجتمع.

(هاريجان، 28-1-1939، ص438)

***

عندما ستباشر الهند في استغلال باقي الأمم – كما يفترض حين ستصبح الهند دولة صناعية – فإنها ستكون لعنة بالنسبة لباقي الأمم، وتهديداً للعالم أجمع. أما، لماذا أربط تصنيع الهند باستغلال باقي الأمم؟ فأقول: ألا ترون مأسوية الوضع المتمثل بأن نجد عملاً لـ300

مليون عاطل عن العمل، في الوقت الـذي لم تسـتطع فيه إنكلــترة إيجــاد عمــلٍ لثلاثة ملايين عاطل لــديها، وتواجه مشاكلَ حيّرت أكبرً عقولها.

(الهند الفتاة، 21-11-1931، ص335)

***

لا أعتقد بــأن التصــنيع ضــروري في جميع الأحــوال ولكل البلــدان، فما بــالكم بالهنــد. وبالفعــل، أعتقد أنّ بوسع الهند أن تُسدِّد قسطاً من مديونيتها لعالمٍ يتلـوّى لمجـرّد اعتمادها طريقة حيـاة بسـيطة ونبيلة من خلال تطـوير آلاف الأكـواخ الـتي لـديها، والعيش بسـلام مع العالم المحيط. فسموّ التفكير يتعـارض مع حيـاة مادية معقـدة تسـتند إلى وتـيرة عالية فرضـتها علينا عبـادة الشـيطان، لأنّ كل ما هو جميل في هـذه الحيـاة يغـدو ممكناً حين نتعلم فنّ العيش بشكل نبيل...

لكن، هل مثل هذه الحيـاة البسـيطة ممكنٌ بالنسـبة لأمة منعزلة، أياً كان اتِّسـاعها وعـدد سـكانها، في وجه عـالم مسـلح حـتى أسـنانه، ويعيش ترفـاً في ظـروف معينـــة. هـــذه المســـألة موضـــوع نقـــاش بالنســـبة للمتشككين، أما أنا فجـوابي البسـيط يقـول: إذا كـانت الحيـاة البسـيطة تسـتحق بـأن تعـاش، فإنها في هـذه الحال تستحق حتى بـأن يقـوم فـرد واحـد، أو مجموعة أفراد، بالسعي إليها.

***

أعتقــد، في الــوقت نفســه، أنّ من الضــروري خلق بعض الصـــناعات الأساســـية. أنا لا أؤمن، لا بـــرئيس الجهاز ولا بالاشتراكية المسلحة، بل أؤمن بالفعل وفقاً لقناعتي، دون انتظار أن يتبعني الجميـع. ما يعـني أنـه، ومن دون تعداد الصناعات الرئيسة، سيكون لدي ملكية دولة، حيث يعمل عدد غفير من البشر جنبــاً إلى جنب.

أما ملكية ما ينتجون، وسواء كـان متقنـاً أو غـير متقن، فيعود إليهم من خلال الدولة. وهذه الدولة، كما أتخيلها، لا يمكن لها أن تكـــون إلاّ لاعنفيـــة، لأني لن أجـــرّد المتمـولين مما يملكـون بـالقوة، إنما سـأدعوهم إلى التعـــاون في عملية التحـــوّل إلى ملكية الدولـــة. إذ لا وجود للمنبوذين في المجتمع، وسـواء كـان هـؤلاء من أصـــحاب الملايين أو من المعـــدمين، فكلاهما قـــروح سـببها نفس المـرض، وجميعهم من أجل هـذا مجـرد بشر.

(هاريجان، 1-9-1946، ص285)

***

إن إحيـــاء القرية ممكن فقط حين لا يكـــون هنـــاك استغلال. التصنيع الواسع سيقود إلى استغلال سلبي أو إيجابي للقرويين بحكم مشاكل السوق التنافسـية، لـذا علينا أن نركز بحيث تبقى القرية مكتفية ذاتيـــــــاً، وأن يكون التصـنيع فيها فقط للاسـتعمال المباشـر. بالإبقـاء على هذا الطابع لصناعة القرية لن يكون هناك أي مانع يحول دون استخدم القرويين للمعـدات والآلات الحديثة الـتي بوسـعهم صـناعتها أو التمكن من الوصـول إليهـا، شريطة أن لا تستخدم كوسائل لاستغلال الآخرين.

(هاريجان، 28-1-1946، ص226)

***

أسـاند من كل قلـبي ذلك الاقـتراح القائل بـأن أية خطة لاسـتثمار المـواد الخـام لبلد معين، لا تأخذ بعين الاعتبـار القـوى البشـرية الكامنـة، خطة غـير متوازنـة، وليس بوسعها تأمين العدالة الإنسانية...

لأن التخطيط الحقيقي يجب أن يــراعي الاســتخدام الأمثل للقـوة العاملة في الهنـد، وتوزيع منتجاتها الخـام

على قراها المتعددة عوضاً عن تصديرها، وإعادة شراء المواد المصنَّعة بأسعار خيالية.

(هاريجان، 23-3-1947، ص79)

***

الاشتراكية

الاشتراكية الحقة لقنها لنا أجدادنا الذين علمونا: "أنّ كل الأرض ملك للغوبـــال، لكن أين الخط الفاصـــل؟ الإنسـان هو الـذي صـنع هـذا الخط وبوسـعه تعديلـه". وكلمة غوبـال تعـني الـراعي؛ وتعـني أيضـاً اللـه. وهي وفق اللغة المعاصرة تعني الدولـة، أي الشـعب. وواقع أن الأرض ليست ملكاً للناس اليـوم صـحيح جـداً، لكن الخطأ ليس في المنقول بل فينا نحن الذين قبلنا بذلك. ولا شكّ عندي بـأنّ بوسـعنا مقاربة الأمر كأية أمـة، بما في ذلك روسيا، لكن بلاعنف.

(هاريجان، 2-1-1937، ص375)

***

لم تلد الاشتراكية حين تم اكتشـاف سـوء اسـتخدام رأس المـال من قبل الرأسـماليين لأنّ الاشـتراكية، بل حـتى الشـيوعية - كما سـبق لي القـول - واضـحة في الفقرة الأولى من الإيشوبانيشاد. وما هو صـحيح هو أن بعض الإصـلاحيين قد فقـدوا الإيمـان بطريقة التغيـير، الأمر الـذي ولّد الاشـتراكية العلميـة. وأنا ملـتزم بحل نفس المشـكلة الـتي واجهت الاشـتراكيين العلمـيين. لكن الصحيح أيضاَ أن مقـاربتي كـات دائمـاً وفقط من خلال لاعنف كامـــل. قد أفشل ولكن، إن فشـــلت، فسـيكون سـبب فشـلي هو جهلي بتقنيـات اللاعنـف، فربّما أكـون معبِّراً رديئـاً عن عقيـدة يـزداد إيمـاني بها يوماً بعد يوم.

(هاريحان، 20-2-1937، ص12)

***

الــوقت الــذي أكنُّ فيه أكــبر تقــدير لنكــران الــذات ولروح التضحية لـدى أصـدقائنا الاشـتراكيين، فـإني لم أنسَ يومــاً الفــارق الكبــير بين طــريقتهم وطريقــتي، لأنهم، بكلِّ صراحة، يؤمنـون بـالعنف وبكل ما يتضـمنه. وأنا أؤمن أكثر فأكثر باللاعنف..، وباشتراكيتي التي هي "حتى بمعزل عن هذا الأخير". فأنا لا أريد الصعود على أشلاء المكفوفين والصم والبكم. لأنه وفق اشـتراكيتهم (الهندية مثلاً) لا مكــان لهــؤلاء، وغــايتهم الوحيــدة هي الرفاه المادي. مثلاً، الهـدف في أمريكا هو سـيارة لكل مــواطن، وليس هــذا ما أبتغيــه. فما أريــده هو إمكانية التعبير عن شخصيتي بحرية كاملة. يجب أن أكون حــراً حتى في بناء درج لسيروس إن رغبت ذلك، ما لا يعــني أني أريد فعل هذا. ولكن في ظل الاشـتراكية الأخــرى، لا توجد حرية فرديــة، فــأنت لا تملك شــيئاً، ولا حــتى جسدك.

(هاريجان، 4-8-1946، ص246)

الاشـــتراكية كلمة جميلـــة، وهي كما أفهمها تعـــني المساواة بين جميع أفـراد المجتمع – لا أحد في الأعلى ولا أحد في الأســفل. ففي جسم الفــرد الــرأس ليس أعلى من ســواه لمجــرد كونه في أعلى الجســم، ولا أخمص القـدمين أخفض من سـواه لأنه يلامس الأرض. فكما أن كل أعضاء الجسم متساوية، كذلك هي أعضاء المجتمـع: هـذه هي الاشـتراكية. في الاشـتراكية هنـاك الأمــير والفقــير، يقع الغــني والفقــير، صــاحب العمل والعامل، جميعهم على نفس المستوى. أما من منطلق ديـني أنـا، فلا ثنائية في الاشـتراكية إنما وحـدة كاملـة. لأننا حين ننظر إلى مجتمعات العالم الذي من حولنا، لا نجد ســوى الثنائية والتعــدد، أما الوحــدة فغيابها ملفت

للنظـر. فهـذا الإنسـان في الأعلى، وذاك في الأسـفل، وهـذا هنـدي وذاك مسـلم والثـالث مسـيحي والرابع فارسي والخامس من السيخ والسادس يهودي. وحـتى بين هؤلاء، هناك تقسيمات ثانوية. أما وفق الوحدة كما أتصورها، فهناك وحدة تامة رغم تعددية الأشكال. ومن أجل بلـــوغ هـــذه الحالة لا يجب النطر إلى الأشـــياء فلسـفياً والقـول بأنه لا يجب أن نتحـرك قبل أن يقتنع الجميع بالاشتراكية. لأنه إن لم نغير حياتنا، فإنه بوسعنا الاسـتمرار في رفع الشـعارات وتشـكيل الأحـزاب والإمساك باللعبة كالنسور حين تسنح لنا الفرصة. لكن هـذه ليست اشـتراكية، لأنه بمقـدار ما نتعامل معها كلعبة بوسعنا الإمساك بها، بمقدار ما تبتعد عنا.

***

يقول الاشتراكيون والشـيوعيون بـأنّ ليس بوسـعهم اليوم فعل شيء من أجل تحيق العدالـة. لـذلك نـراهم يسـتمرون في دعـايتهم من أجلهـا، ولهـذه الغاية هم يؤمنـون بضـرورة توليد الحقد وزيادتـه. ويقولـون إأنهم حين يستولون على السلطة، سيدعمون العدالـة." وأنا أدعي بـأني شـيوعي بعض الشـيء رغم أني أسـتعمل السيارات والتسهيلات الأخرى التي يضعها الأغنياء تحت تصـرفي، لكنهم لا يسـيطرون علي وبوسـعي إبعـادهم في لحظة إن تطلبت مصلحة الجماهير ذلك.

(هاريجان، 31-3-1046، ص64)

***

علينا أن نفهم أن ليس بوسعنا التعجيل في الإصـلاح. وإن كنا نريد تحقيقه بوسائل لاعنفيـة، فـإن ذلك ممكن فقط عن طريق تثقيف كلا الطرفين (أي) "من يملـك" و"من لا يملـك". فـالأولون يجب أن يتأكـدوا من أن القـوة لن تسـتخدم ضـدهم البتـة. كما يجب أن يتعلم

أولئك الذين "لا يملكـون" أن ليس بوسع أحد إجبـارهم على فعل ما لا يرغبـون، وأن بوسـعهم تحقيق حـريتهم عن طريق تعلم فن اللاعنف بمعـنى التضـحية بالـذات. وإذا كان لا بد من تحقيق هذه الرؤيا، فإن التعليم الذي ذكرته يجب أن يباشَـــر به من الآن. من خلال خلق جو من الاحـترام المتبـادل والثقة كخطـوة أولى. بعدئــذٍ، يمكن أن يكون هناك صراع لاعنفي بين الطبقـات وبين الجماهير.

(هاريجان، 20-4-1940، ص97)

***

أنا أؤمن بالعمل الحـــر، وأؤمن أيضـــاً بالإنتــــاج المخطط. لأنه إن كان لدينا فقط إنتـاج دولة فـإن هـذا سيفقر الناس فكرياً، حيث سينسون مسـؤلياتهم. لهـذا سأسـمح للرأسـمالي ومالك الأرض (زامينـدار) بـأن يحتفظـوا بمعـاملهم وأراضـيهم، ولكن كمؤتمـنين على هذه الملكيات.

(هاريجان، 20-7-1947، ص12)

***

النموذج الاشتراكي والعقيدة الشيوعية

نا لا أشارك القناعة الاشتراكية القائلة بأن مركزة ما هو ضـروري للحيـاة سـيقودنا إلى الرفـاه العـام، الـذي سيحصل حين تصـــبح الصـــناعات المركزية ممتلكة ومدارة من قبل الدولة. وقد ولدت النظرة الاشــتراكية في الغرب في بيئة مشبعة بالعنف. الغاية الكامنة وراء النموذج الغربي والنموذج الشـرقي (للاشـتراكية) واحد – رفـاه أكـبر للمجتمع ككـل، وإلغـاء اللاعدالة القميئة الناجمة عن وجـود الملايين ممن "لا يملكـون" من جهة وحفنة من "الملاك" من جهة أخرى. وأنا أعتقد بأن هذا ممكن التحقيق حين يقبل أفضل عقول العالم باللاعنف

كقاعدة لنظام اجتماعي عادل. لذلك أعتقد بأن وصـول البروليتاريا إلى السلطة عن طريق العنف سيفشل في النهاية لأن ما أخذ بالقوة ستنتزعه قوة أكبر.

(هاريجان، 27-1-1940، ص428)

***

أعـترف بـأني لم أفهم بعد ما تعنيه البلشـفية تمامـاً. كل ما أعرفه هو أنها تبغي إلغـــــــاء منظومة الملكية الفردية. وهذا مجرد تطـبيق اقتصـادي للمبـدأ الأخلاقي الــداعي إلى عـــدم التملك والــذي، إن تبنـــاه النـــاس وتمكنوا من تطبيقه بوسائل سلمية وبالإقنـاع، سـيكون نظاماً لا يضاها.

لكن ما أعرفه عن البلشفية هو أنها لا تمنع استعمال القـــــوة، بل تحللها من أجل نـــــزع الملكية الفردية والحفاظ على ملكية الدولة. وإن كانت هذه هي الحال، فإني لن أتردد في أن أقول بأن النظـام البلشـفي، كما هو سائد حالياً، لن يـدوم طـويلاً. لأني مقتنع تمامـاً بأنه ليس بالإمكـان بنـاء أي شـيء دائم بـالقوة. لكن هـذا الواقع لا ينفي أن المبـــدأ البلشـــفي، الـــذي هو نتيجة أطهر التضحيات التي قدمها في سبيله أعـداد لا تحصى من النسـاء والرجـال، والـتي كرسـتها تضـحيات أرواح معلمين كبار كلينين، لا يمكن أن يذهب سدىً. ما يعـني أيضــاً أن المثل النبيل لتضــحياتهم سـيكرّس إلى الأبد الأمر الذي سيسرِّع في تطبيق المبدأ ويطهرِّه على مر الأيام.

(الهند الفتاة، 15-11-1928، ص381)

***

الفصل العاشر

للذكرى والتاريخ

اليهود في فلسطين

تبلَّغت عدة رسائل تسألني التصريح بنظـراتي حـول المسألة العربية–اليهودية في فلسطين وحول اضـطهاد اليهود في ألمانيا. وإن إقدامي على طرح نظــراتي في هذه المسألة العويصة لا يخلو من تردُّد.

أنا متعــاطف كليــاً مع اليهــود؛ فقد عــرفتهم معرفة حميمة في جنوب أفريقيــا، وبعضــهم بــات رفيق حيـاة. ومن خلال هؤلاء الأصـدقاء قُيِّض لي أن أعـرف الكثـير عن تعرُّضــهم المديد للاضــطهاد. لقد كــانوا منبــوذي المسـيحية؛ والشـبه كبـير بين معاملة المسـيحيين لهم ومعاملة الهندوس للمنبـوذين. فلقد اسـتُدعِي التسـويغ الديني في كلتا الحالتين لتبرير المعاملة غـير الإنسـانية التي أنزِلَت بهم جميعاً. ثمة، إذن، لتعاطفي مع اليهــود، إلى جانب الصداقة، سببٌ أشمل أعم.

لكن تعاطفي لا يعميني عن متطلبات العدل. فالنداء من أجل الوطن القومي لليهـود لا يسـتهويني كثـيراً؛ إذ هو يجد تسويغاً له في التوراة وفي إصرار اليهــود على تمسُّــكهم بــالعودة إلى فلســطين. فلمــاذا لا يتأسُّــون بشعوب الأرض الأخـرى فيتَّخـذون وطنـاً لهم ذلك البلد الذي يولدون فيه ويسترزقون؟

فلسـطين ملك للعـرب تمامـاً مثلما أن إنكلـترا ملك للإنكلـيز وفرنسا ملك للفرنسـيين. فمن الخطل وعـدم الإنسانية فرض [سيطرة] اليهود على العرب. ما يجري اليوم في فلسطين لا يقبل التبرير بأي نــاموس أخلاقي للسلوك؛ وليس من تسويغ للانتداب إلا التذرع بــالحرب

الأخـــــــــيرة [العالمية الأولى]. ولا ريب أنه من قبيل الجريمة ضد الإنسـانية أن يُكـرَه العـرب الأعـزَّة على النزول عن فلسطين لليهود، جزئياً أو كلياً، وطناً قومياً لهم.

قد يكـــون البـــديل الأنبل هو الإصـــرار على معاملة عادلة لليهـــود حيثما يولـــدون ويـــترعرعون؛ فـــاليهود المولـودون في فرنسا فرنسـيون بالدقة تمامـاً كما أن المسـيحيين المولـودين في فرنسا فرنسـيون. فـإذا لم يكن لليهود من وطن سوى فلسطين هل سـيطيب لهم أن يُكرَهـوا على مغـادرة الأمـاكن الأخـرى من العـالم الـتي هم فيها مسـتقرون؟ هل يريـدون وطنـاً مزدوجـاً يقيمون فيه كما يحلو لهم؟ هذا النـداء من أجل الـوطن القومي يقدِّم تبريراً مدلَّساً لطرد اليهود من ألمانيا.

لكن اضطهاد الألمان لليهود ليس لـه، على ما يبـدو، نظير في التـاريخ. فطغـاة الماضي لم يـذهبوا قط إلى الحـدِّ الـذي يبـدو أن هتلر ذهب إليـه؛ وهو يفعل ذلك بحماسة دينيـة: إنه يـدعو إلى دين جديد قوامه قومية حصرية قتالية يصير باسمها أيُّ انتهـاك للإنسـانية عملاً إنسانياً يثـاب عليه فاعلُه دنيا وآخـرة. إن إجـرام شـاب بـادي الجنـون، لكنه جَسـور، ما فـتئ يُبتلى به قومُه بشراسة لا تُصدَّق. فإذا كـان مقيَّضـاً لحـرب أن تكـون مبررة باسم الإنسانية ومن أجلها فإن حرباً ضد ألمانيا، بهدف الحيلولة دون الاضطهاد التعسفي لشعب كامـل، قد تكون مبرَّرة كل التـبرير. لكـني لا أؤمن بأية حـرب. لـذا فـإن مناقشة الحجج المؤيِّدة لمثل هـذه الحـرب والحجج عليها تقع خارج أفقي أو نطاق اختصاصي.

لئن لم يكن بالوسع شنُّ حربٍ على ألمانيا، حتى رداً على مثل هذا الإجرام الذي يُرتكَب بحق اليهـود، قطعـاً لا يصح التحـالف معهـا؛ إذ كيف يُعقَد تحـالفٌ بين أمَّة

تـدَّعي الانحيـاز إلى العدالة والديمقراطية وأمَّة تجـاهر بعـــدائها للاثنـــتين؟ أم أن بريطانيا بـــاتت تنســـاق إلى الديكتاتورية المسلَّحة وإلى كل ما تعنيه؟

إن ألمانيا تبيِّن للعـالم مـدى فعَّالية اسـتخدام العنف عندما لا يعرقله أيٌّ رياء أو ضعف يتزيَّا بـزيِّ الإنسـانية؛ وهي تـــبيِّن أيضـــاً مبلغ بشـــاعة ورعب ذلك العنف في عريه المروِّع.

فهل بوسع اليهود أن يقاوموا هذا الاضــطهاد المنظَّم السافر؟ هل من طريق لصون عـزَّة نفسـهم بـدون أن يشـعروا بـالعجز أو بالخـذلان. أراهن أن هنـاك طريقـاً. فما من امرئ مـؤمن بإله حي ينبغي أن يشـعر بـالعجز أو بالخـــذلان. إن يهـــوه – إله اليهـــود – إله شخصي الصــفات أكــثر من إله المســيحيين أو المســلمين أو الهندوس، على كونـه، في الواقـع، ومن حيث الماهيـة، مشـترك بين الجميـع، وواحد لا شـريك لـه، ومسـتعصٍ على الوصف. ولكن بما أن اليهـود ينسـبون الشخصـيةَ إلى الله ويعتقدون أنه يحكم كل فعل من أفعـالهم فقدٍ وجب عليهم ألا يشـــعروا بـــالعجز. فلو كنت يهوديـــاً وولدت في ألمانيا وكنت أسعى إلى رزقي فيها لأعلنتها وطـني بما لا يقل عن أطـولِ الغـوييم الجرمـان قامـة، ولتحدَّيته أن يرديـــني قـــتيلاً أو أن يلقي بي في غيهب سـجنه؛ ولرفضت أن أُطـرَد أو أخضع لمعاملة تمييزيـة. وفي قيامي بذلك لن أنتظر أن ينضم إليَّ أصـحابي من اليهـــود في المقاومة المدنيـــة، بل أوقن أن البقية في النهاية لا بدَّ أن يحذوا حذوي...

... والآن أوجِّه كلمة إلى يهـــود فلســـطين. لا ريب عندي أنهم ماضـون على ضـلال. ففلسـطين بـالمفهوم الكتابي ليست أرضاً جغرافيـة؛ إنها في قلـوبهم. أما إذا كـــان لا بـــدَّ لهم أن يتطلعـــوا إلى فلســـطين الجغرافيا

وطنــاً قوميــاً لهم فمن الخطل أن يــدخلوها في ظل المدفع البريطاني؛ إذ إن منسـكاً دينيـاً لا يصح أن يُتمَّم بمعونة أســنَّة الحـــراب أو القنابـــل. ليس لهم أن يستوطنوا فلسـطين إلا بالوفـاق مع العـرب؛ بل عليهم أن يسعوا إلى كسب قلوب العـرب؛ فالإله نفسه يحكم كلا القلـبين العــربي واليهـودي. بوسـعهم أن يواجهــوا العرب بالـ*ساتياغراها* ويقدموا أنفسهم للقتل أو للرمي في البحر الميت بـدون أن يرفعـوا إصـبعاً صـغيراً ضد العـرب؛ ولسـوف يجـدون الـرأي العـالمي يؤيِّدهم في تشـوُّقهم الـديني. هنـاك مئـات الطـرق للتفــاهم مع العـــرب، شـــريطة أن يســـتبعدوا معونة الحـــراب البريطانيــــة. أما وأن الأمـــــور على ما هي فـــــإنهم مشـتركون مع البريطـانيين في سـلب شـعب لم يسئ إليهم في شيء.

أنا لا أدافع عن تجـاوزات العــرب. أتمــنى عليهم أن يختـــــــاروا طريق اللاعنف في مقاومة ما يعتبرونه – محقِّين – تعدِّياً لا مسـوِّغ له على بلادهم. ولكن بحسب القـوانين المقبولة للحق وللباطل لا جنـاح على مقاومة العرب في وجه المظالم الطاغية.

فليبرهن اليهود الزاعمون أنهم الشعب المختار على صـــحة لقبهم باختيـــارهم طريق اللاعنف تزكية لحقِّهم بمكـــــان لهم على الأرض. فكل بلد وطن لهم، بما في ذلك فلسطين، إنما ليس بالعـدوان بل بالخدمة المُحِبَّة. لقد بعث إليَّ صــديق يهــودي كتابــاً بعنــوان *مســاهمة اليهــود في الحضـــارة* من تـــأليف سيسل روث، وفيه مسرد بما فعله اليهود إغنـاءً للأدب والفن والموسـيقى والمســــــرح والعلم والطب والزراعة إلخ. فبالعزيمة يسـتطيع اليهـودي أن يــرفض معاملتَه معاملــةَ منبــوذ الغرب، أن يرفض احتقاره أو التعالي عليه. بوســعه أن

يستقطب انتباه العالم واحترامه بأن يكون الإنسان، خليقة الله المصطفاة، بدلاً من أن يكون بشراً سرعان ما يسقط إلى درك البهيمة فيتخلّى عنه الله. بوسعهم أن يضيفوا إلى مساهماتهم العديدة مساهمة العمل اللاعنفي الفائقة.

هذا الفصل ترجمة: ديمتري أفييرينوس

تعاريف

أدفايتا: الفلسفة الهندية الداعية للتوحيد ورفض الثنائية.
أجياري: معبد زرادشتي لعبادة النار.
آهيمسا: بمعنى اللاأذية أو اللاعنف، والذي في جانبه الإيجابي يعني محبة كل أشكال الحياة.
الله: اسم الإله بالعربية (عند المسلمين).
أمانيتفام: التواضع.
أباريغراها: اللاتملك.
أردهانجيني: المرأة أو "النصف الأفضل".
أشرام: مسكن المعلم الروحي؛ المكان الذي تسكن فيه جماعة روحية؛ مرحلة من مراحل الحياة.
أسوكا: ملك هندي من القرن الثالث ق. م. اشتهر بأنه تخلى عن التوسع والغزة. وبالمنحوتات الصخرية التي أقامها من أجل الديانة البوذية.
أتيشودرا: أي الأخفض من الشودرا، وهي التسمية التي تطلق على الفئة من الدرجة الرابعة في أسفل السلم الاجتماعي الهندي والمعروفة بالمنبوذين.
أتمان: الروح.

أڤاتار: لغوياً تعـني الـوريث أو تجسد الألوهـة، وخاصة منها ڤيشنو في الثالوث الألوهي الهندوسي.
بانسي: مزمــار القصب الــذي كــان يســتعمله راعي البقر الإلهي، شري كريشنا.
بــاردولي: قرية من مقاطعة كاهــاراج شــاركت في حركات العصيان المدني.
باغاڤاد-غيتا: انظر غيتا.
بهاكتي: الإخلاص.
بهانغي: عامل النظافة؛ مكنس شوارع.
بهارات ماتا: أمنا الهند.
بيبهيشـــــان: عُــــرِف في الراماياانا كــــأخ لراڤانا ومستشاره الحكيم.
بهوباغهومي: أرض المتعة.
براهما: الاسم الهندي للخالق، وواحد من الثالوث.
براهماشـاري: هو العـازب الـذي يتبع البراهماشـاريا (شريعة البراهما).
براهماشاريا: هي شريعة البراهما الـتي تقتضي ممن يتبعوها أن يبقوا عـازبين ويتكرّسـوا لتعلم الفيـدا والتبشير بها.
براهمـــان: المنتسب إلى أولى الطبقـــات الأربـــع، ووظيفته الرئيسة دراسة وتعليم الفيدا.
بوذا: لقب مؤسس البوذيـة، عـاش ما بين 563 و483 ق.م. يعـرف أيضـاً باسم غوتاما أو سـيدهارتا أو شاكايامونى.
شـيطانيا: مصـلح بنغـالي من القـرن الخـامس عشر ب.م. ويعتبره أتباعه كتجسد لكريشنا.
شاكي: رحى الطاحون.
شــاباتي: كعكة مســطحة رقيقة من الطحين؛ قطعة متبقية من رغيف الخبز.

شارخا: عجلة المغزل.

مسيرة داندي: هي مسـيرة الملح، أو تلك المسـيرة التي تمت بقيادة غاندي بـدءاً من 12 أذار إلى 5 نيسـان 1930. وقد انطلقت من أشـرام سابارماتي إلى بلدة دانـدي السـاحلية الـتي تبعد عنها 100 ميل، وكان هدفها اسـتخراج الملح من البحر وكسر الاحتكار البريطاني للملح.

دامايانتي: هي أسطورة تمثل الوفاء والحب الخالص المتمثل بأميرة فيداربا الأسطورية وحبيبها الأمير نـالا. ويشـكل موضـوع هـذه القصة فصـلاً من الموضوع الأساسي في البورانا.

داريدرانارايانا: الألوهة المتجسـدة من خلال شـخص الفقير المحتاج.

داشاراتها: هو ملك أيودهيا ووالد راما وفق الرامايانا

داياناـند: هو سـوامي دایانند ساراسـواتي (1824-1883) مؤسس الآريا ساماج

دهارمـا: الـدين؛ شـريعة الكـائن الأوحـد؛ الاسـتقامة؛ القواعد الهندية الدينية والأخلاقية.

دهارماجا: وليد الشعور بالمسؤولية.

دهارما يودهـا: حـرب تُخـاض من أجل الاسـتقامة وبوسائل وطرائق صحيحة.

دهيد: لقب يطلق على المنبوذين.

دهورنا: الإضـراب جلوسـاً، شـكل قـديم وبـدائي من الساتياغراها.

دنيانديف: فتى وشاعر من ماهاراشترا القرن الثـالث عشر الميلادي. صاحب الدنيانينشواري الـتي هي تعليق ماهارتي على الغيتا.

دراوبادي: هو تفاهم أمراء باندافا وفق الماهابهاراتا.

دوبلاس: مجتمع شودرا متخلف من غوجارات.

دوريودهانا: رئيس أمراء كاورافا وفق الماهابهاراتا.
دايـر: جـنرال إنكلـيزي أمر بـإطلاق النـار على تجمع أعـزل في جيليانوانا بـاغ في أرميسـتار في 13 نيسان 1919، مما تسبب بقتل 400 شخص.
غانجا: نهر الغانج المقدس شمال غرب الهند.
غاني: معصرة الزيت.
الغيتا: أو "نشـيد المـولى" ديـوان شـعر سنسـكريتي أُلِّف قبل الميلاد بعـدة قـرون، حيث نشـهد كيف وضع شـري كريشـنا، مبـادىء وفلسـفة الديانة الهندية.
غي: زبدة مصفّاة
غوخـال: الغوبـال كريشـنا غوخـال (1866-1915)، سياسي هنـــدي وعضو في المجلس التشـــريعي التـــابع لنـــائب الملك (البريطـــاني)، ومؤسس جمعية خـدام الهنـد. وقد اعـترف به غانـدي أبـاً روحياً له في السياسة.
غوندا: همجي أو أزعر.
غوندايسم: زعرنة أو همهمجية.
غوبال: راعي البقر، وهو أحد أسماء شري كريشنا.
غور: شكل محلي للدبس المصنوع من السكر.
غورو: معلم، أستاذ.
غوسيڤا: خدمة الماشية؛ حماية البقر.
غرام بانشايات: مجلس قرية أو "مجلس الخمسة".
غرام سيڤا: خدمة القرية.
غرام سيڤاك: شخص معين لخدمة القرية.
حكيم: ممارس الطب الشعبي المحلي.
هانومـــان: الألوهة على صـــورة قـــرد، وهي تلك المكرسة لخدمة راما وفق الرامانايا.
هارتال: بمعنى الإضراب، أو التوقف عن العمل.

هووغلي: الفـرع الغـربي لنهر الغـانج حيث تقع مدينة كالكوتا.
إيشوبانيشاد: واحدة من الأوبانيشاد الأساسية.
الجاينية: ديانة الهند القديمة والتي يعتبر اللاعنف أحد فروعها.
الجاينيين: أتباع الجاينية.
جاناك: ملك ڤيديها الفيلسوف.
كبير: شاعر قديس ومتصوف من شمال الهند. عــاش في القــرن الخــامس عشــر. كتب في مــديح الألوهة، وفي التناغم بين الهندوسية والإسلام.
كاماجا: وليد الشهوة.
كارما بهومي: أرض الواجب.
كارما يـوغي: شـخص كـرّس حياته لخدمة الآخـرين دون مقابل.
خدار أو خادي: قماش منسوج باليد.
كيسان: فلاح.
قرآن: كتاب المسلمين المقدّس.
كريشـنا: إله وبطل أساسي في الماهابهاراتـا. يعبـده الهنود كثامن تجلي للألوهة.
كشــــاتريا: عضو في الطبقة الهندوســـــية الثانية (المحاربين).
ليلا: اللعب الإلهي أو الرياضـــة، وغالبـــاً ما تفسر من قبل الفايشنافات كليلا الإلـه، وهو مفهـوم يـدخل عناصر العفوية والحرية إلى الكون.
لوك سيڤاك سانغ: جمعية للخدمة العامة.
الماهابهاراتا: ملحمة هندية تدور قصتها حول الحرب الكـبرى بين البانــدافاس والكاورافــاس، أمــراء الســلالة القمرية الــذين كــانوا أبنــاء عمومــة،

وكلاهما كـان يطـالب بعـرش هاسـتينابور (دلهي حالياً).
ماهاتمـا: الـروح الكـبرى. وهو لقب كـان يطلق على غاندي.
ماهــافير: فارهامنـــا، وهو النـــبي الرابع والعشـــرين للجاينية وأحد أكــبر دعاتها (عــاش ما بين و486 ق.م.)
مهاياجنا: التقدمة الكبرى، أو طقس الاستعطاف.
مانترا أو مانترام: التجسد المقدس أو السحري.
مانوشيا: رجل.
مايــا: الــوهم. وفق الفلســفة الهندوســية المايا هي القدرة الإلهية التي خلقت الكون.
موكشا: التحرر من القيود الأرضية.
موني: الحكيم أو قديماً المتنبئ.
ناي تعليم: حرفياً، هي التعليم الحرفي أو الأساسي
نماز: الصلاة (باللغات الإيرانية).
نانــاك: مؤسس ديانة الســيخ (ما بين 1469 و1539 ميلادية).
نيرڤانــا: الانعتــاق وهو التعبــير البــوذي المكــافىء للموكشا الهندوسية.
بانشا أو بانشـايات: الخمسـة؛ منـبر المقاطعـة، أو مجلس الخمسة.
بانشايات راج: قواعد البانشايات.
بانداڤا: الأخوة الخمسـة، مكافـأت السـلالة القمريـة، الذين انتصروا في حرب ماهاراشترا.
بينجــارابولس: قــوانين من أجل رعاية كبــار السن والعجز.
بورنا سواراج: الحكم الذاتي أو الاستقلال الكامل.

بـــراهلادا: ابن هـــوراني كاشـــيبو، ملك وشـــيطان أسـطوري، أدت عبادته لڤيشـنو إلى اضـطهاده من قبل والده الذي قُتل في نهاية المطاف على يد ناراشيمحا الإنسان الأسد، وأڤاتار ڤيشنو.

بريتـام: أو بريتامـداس، شـاعر غوجـارتي من القـرن الثـالث عشر ميلادي، كتب العديد من الأناشـيد المتصوفة.

راج: مملكة، حكم، نظام.

راجاشـاندرا، رايشـاندهباي: متصـوف وفيلسـوف من الجاينيين، عاصر غاندي الـذي يعتـبره معلمه الروحي. توفي عام 1900.

رام، راما: ملـك، وبطل أسـطورة الرامايانـا، الهنـود ينظـرون إليه كملك وإنســان مثــالي، ويعبدونه كالتجلي السابع للألوهة.

راما كريشنا: قديس ومتصوف من البنغال (1836 – 1886 ميلاديــة)، كــان غــورو (معلم) ســوامي ڤيڤيكانانـــــدا، بشر بأحادية الألوهة وبالتنـــــاغم الأساسي لكل الأديان. وقد سميت رسـالة "راما كريشنا" على اسمه.

رامايانا: هو اسم راما، وأحد أسماء الله.

رامانوجـا: بـاحث ڤايشـاڤي من القـرن الثـاني عشر الميلادي، ويعـرف بأنه هو الـذي طـرح الفلسـفة المثنوية.

راماراجيا: أسـطورة هندوسـية تحكي قصة اختطـاف سيتا، زوجة راما، من قبل راڤانا الملك الشيطان للانكا (سيلان حالياً)، وخلاصها بعد غــزو لانكا من قبل جيـــوش كـــان يقودها راماند ومقتل راڤانا على يد راما.

رامجي منديز: معبد راما.

راڤانا: الملك الشيطان للانكا في أسطورة الرامايانـا، والذي أدى اختطافه لسيتا إلى تدميره على يدي راما.
ساداڤرات: الإحسان.
ساهادهارمين: الزوجة.
ساماغرا كرامسيڤا: دورة خدمة القرية.
ساماسكاراس: الميـول الفطرية الموروثة من حيـاة ماضية؛ عادات دينية.
ساناتانيست: التابع المؤمن للديانة الهندية القديمة.
سـانّياس: التخلّي عن كل الروابط الأرضـية، وتركـيز الذهن على الكائن الأعلى.
سانّياسي: من يتبع السانياس.
سارڤودايا: الرفاه للجميع.
ساتڤيكا: السعي إلى الحقيقة.
ساتيا: الحقيقة.
ساتياغراها: الاستعانة بقوة الحقيقة أو قوة الروح.
ساتياغراهي: من يمارس الساتياغراها.
ساڤيتري: زوجة ساتيافان التي تقول الأسـطورة إنها طالبت إله الموت بإعادته إلى الحياة.
شانكارا: فيلسـوف هنـدي من القـرن الثـامن للميلاد. وقد كــــان أحد دعـــــائم اللاثنوية في المدرسة الفلسفية للفيدانتا.
شاستراس: المخطوطات الهندية.
شلوكا: قصيدة أو مؤلف شعري.
شودرا: فرد في الطبقة الرابعة والأدنى عند الهنود.
سيتا: زوجة راما.
ســمريتيس: القواعد المســتندة إلى إعــادة تجميع الشاسترا.

ستهيتابراجنا: بمعـنى صـاحب الـذهن المتوقـد، وهو صــاحب الــروح الــتي لا تتــأثر بأقصى الفـــرح والحزن.
سـوداما: صـديق الطفولة المحتـاج، وشـريك شـري كريشـنا في السـاعات الأخـيرة لهـذا الأخـير في الباغاڤادغيتا.
سورداس: شـاعر هنـدي أعمى من القـرن السـادس عشر الميلادي؛ ويعتــــــــــبر مؤلفه الرئيسي سورسـاغار الــذي يحكي فيه قصة كريشــنا من أكثر الأعمال شعبية في الهند.
سواديشي: من، أو مصنوع في، بلد المرء.
سـوارغاروهان براڤـا: عنـوان الفقـرات الثمـاني عشـرة الأخـيرة من ملحمة الماهابهاراتـا. والـتي تحكي قصة الأيام الأخيرة ليودهيشتيرا الـذي لجأ في نهاية حياته إلى جبــال الهيمالايـا، وكيف فقد زوجته وإخوته الأربعة الواحد تلو الآخـــر، قبل أن يلتقي إنــــدرا راكبــــاً على عربته ليأخــــذه إلى السوارجا حيث ينعم الصالحون بثمرة أعمالهم.
تادجود: حلوى مصنوعة من ثمار شجر النخيل.
تاباشاريا: التكفير.
تيلاكس: إشارة إلى غطاء الرأس.
توكـارام: شـاعر صـوفي من ماهاراشـترا عـاش في القــرن السـابع عشر الميلاديــة. ألّف العديد من القصائد الروحانية.
تولسيداس: شاعر هندي من القــرن السـادس عشر الميلادي. ألّف عـــــــــدة أعمــــــــــال أهمها الراماشاريتاماناسا (أو المقدس في حيـاة رامـا) الــتي تتحـدث عن المنجـزات الأسـطورية الـتي

حققها راما في حياتــه. وهي من أكــثر الأعمــال تقديراً بالنسبة للهندوس.
أوبانيشــاد: موضــوعات الفلســفة الهندية القديمــة، ملحقة بالڤيـدا وتحتـلّ نفس المكانة الـتي تحتلها الڤيدا.
ڤايداس: الـذي يمـارس الأيورڤيـدا كمنظومة للطبابة المحلية.
ڤايشــياس: أبنــاء الطبقة الهندية الثالثة المؤلفة من المزارعين والتجار.
ڤــالميكي: أول الشــعراء السنســكريتيين وصــاحب ملحمة الرامايانا.
ڤارنا: أو اللـون؛ وهي واحـدة من التقسـيمات الأربعة للمجتمع الهنــدي (أي البراهمـــان والكشـــاتريا والڤايشـــيا والشـــودرا) وهي تســتند إلى عامل الوراثة.
ڤارناشــراما: التقســيم الطبقي الربــاعي للمجتمع الهندي.
ڤيدانتا: منظومة فلسفية نابعة عن الأوبانيشاد.
ڤيــداس: أقــدم المخطوطــات الهنديــة، عبــارة عن أناشـيد لآلهة متنوعـة. وهـذه الأناشـيد من أربعة أنــواع هي: الريجڤيـدا والســماڤيدا واليروجڤيـدا وأتهارڤاڤيدا.
ڤيدورا: الحكيم وابن الأسرة المتواضعة الذي يمجــده كريشنا في الماهابهاراتا.
ياجنا: الطقس أو الذبيحة الدينية.
يوغــا: نظــام تأمل هنــدي ذو علاقة باتحــاد الـــروح الإنسانية بالخالق.
يوغي: ممارس اليوغا.

يودهيشـــتيرا: الأقـــدم من بين أمـــراء البانـــدافا والمعروف بسلوكه القويم.
زاميندار: ملاك الأرض.
زيند أﭬيســتا: الكتـــاب الزارادشـــتي المختصر عن (أﭬيستا).
زوروآستير: اسم زَرادشت باليونانية.

المحتويات